

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي



مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي
التخصص: أدب عربي قديم.

بعنوان:

« المذهب الديني لابن سهل الاشبيلي وتأثيره على شعره في مدح للرسول صلى
الله عليه وسلم »

إشراف الدكتور : عبد الله وايني

من إعداد الطالبتين :

-بلاغيث نجوى

-بوخاري هند

السنة الجامعية: 2022/2021.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

The image displays the Basmala in a bold, black, stylized calligraphic font. The text is oriented horizontally. Five long, vertical arrows point upwards from the top of the letters 'ا', 'ل', 'ل', 'ر', and 'ح' in the second word 'الرَّحْمَنِ'. Small numbers (1, 2, 3) and arrows are placed at various points along the strokes to indicate the correct sequence and direction of writing. The calligraphy is clean and modern, with thick black lines on a white background.

الشكر والعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(إن أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس)
نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للدكتور
على مجهوداته ونصائحه.

كما نتقدم بجزيل الشكر المسبق للجنة المناقشة على ما سيقدمونه من
ملاحظات وتوجيهات والتي لن تزيد هذا العمل إلا إتقاناً وجمالاً.
و نشكر كل أستاذة قسمنا على دعمهم وتشجيعهم لنا، دون أن ننسى
من مد لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد.



بسم الله الرحمن الرحيم

"وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " صدق الله العظيم

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين

«سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم»

-إلى من علمني العطاء دون انتظار المقابل .. أرجوا الله أن يمد في عمرك ستبقى
كلماتك نجوما أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد .

والدي العزيز

-إلى معنى الحب والحنان .. إلى بسمة الحياة التي فتح دعاءها أبواب السماء
رحمةً أعلى الدررأمي العزيزة

-إلى من زرع التفاءل في دربنا وقدم لنا يد المساعدة ببذخ ولم يبخل علينا
الدكتور : عبد الله وايني

-إلى شموع تنير ظلمة حياتي ورفقاء دربي في هذه الحياة إلى الذين لنجاحي
بنظرات الأمل.

أخواتي

-إلى اللواتي تميزن بالوفاء والعطاء إلى ينباع الصدق الصافي .. إلى من سعدت
معهن وبرفته إلى اللواتي كنّ معي على طريق النجاح والخير .

صديقاتي



إلى كل من مدّ لي يد العون وكان لي سدا
لكم كل التحية والاحترام.

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم خلق الإنسان علمه البيان والصلاة والسلام على خير البشر صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يعد المديح من الفنون الأدبية التي تزامنت وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تبارى الشعراء في مدح خصاله وصفاته ومآثره، فغدا بذلك المديح غرضاً شعرياً له علاقة وطيدة ولصيقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقد عرف شعراء في عصر النبوة بالنظم في هذا الغرض مثل حسان بن ثابت -رضي الله عنه-، وكعب بن زهير -رضي الله عنه- وغيرهم من شعراء ذلك العصر؛ وامتد مدحه في العصور التي تلت عصر النبوة حيث تبارى الشعراء في مدحه، والعصر الأندلسي واحد من هذه العصور التي عرفت بمدحه صلى الله عليه وسلم حيث تفنن شعراء الأندلس من أمثال الشقراطيسي وغيره في مدح شخصه عليه السلام، ويعد ابن سهل الأندلسي الإشبيلي من بين الشعراء الذين سخروا شعرهم في مدحه صلى الله عليه وسلم رغم أصوله اليهودية التي لم تكن حاجزاً أمامه في مدح معلم البشرية الخير صلى الله عليه وسلم، إذا ما قارننا غيره من أهل هذه الديانة الذين كانوا يضمرون الحقد والعداء للدين الإسلامي ولشخصه صلى الله عليه وسلم، فبنوا جلده من اليهود أعلنوا العداء للإسلام ولنبي دين الإسلام منذ البدايات الأولى من إعلان الدين الجديد؛ هذه المعطيات المذكورة آنفاً حول أصول الرجل وقومه وضعتنا أمام إشكالية تتمحور حول موضوع البحث الموسوم بـ: ابن سهل الإشبيلي بين مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم وإخلاصه لمذهبه الديني وتأثير ذلك في شعره.

وتمحورت هذه الإشكالية في إشكال رئيسي هو: هل كان لأصول ابن سهل الإشبيلي اليهودية تأثير في مضامين شعره بصفة عامة، وفي مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة؟ وتفرعت عن هذه الإشكالية تساؤلات فرعية منها: - هل اعتنق ابن سهل الدين الإسلامي، أم بقي على دين أسلافه؟

- إلى أي حد ومدى وفق ابن سهل الأندلسي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم؟

الدوافع والأسباب: وقد دفعنا لاختيار البحث في هذا الموضوع جملة من الدوافع والأسباب منها:- الرغبة الشديدة في البحث والتنقيب في المدائح النبوية واكتشافها.

- الحب الخالص للرسول صلى الله عليه وسلم

- اكتشاف جمالية قصيدة ابن سهل الإشبيلي وطريقة نظمها ، وتنوع أساليبها ، ناهيك الى ابراز خصال النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم من خلال مدحه وتعداد خصاله.

أهمية الدراسة: رغم انه مسلم الا ان تكمن أهمية هذا البحث، وهذه الدراسة في الكشف عن شخصية ابن سهل الإشبيلي ومذهبه الديني، ومضامين شعره المختلفة بصفة عامة وفي حقل المدائح النبوية بصفة خاصة وأثر مذهبه الديني في ذلك.

أهداف الدراسة: الهدف من البحث تسليط الضوء على الشاعر الأندلسي الذي شكك العلماء في ديانته رغم أنه أسلم، والوقوف على الدلالات والإضافات التي أضافها ابن سهل الأندلسي في قاموسه المدحي.

المنهج المتبع: وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته للقصيدة والكشف عن مضمونها، واقتضت طبيعة المنهج سيرالدراسة وفق الخطة التالية:

مقدمة: شملت الإشارة لعناصر الموضوع وخطته بشكل عام.

مدخل : وتحدثنا فيه عن عصر الشاعر

الفصل الاول: ابن السهل ومذهبه العقدي والديني

المبحث الاول: ترجمة للشاعر بن سهل الاندلسي و التعريف به

والمبحث الثاني: أخلاقه ومذهبه الديني الذي كان يعتمدده.

الفصل الثاني: فن المديح النبوي عند ابن سهل وأثر ديانته فيه

المبحث الاول: فن المدائح النبوية ،النشأة والتطور والمبحث الثاني: عينية ابن سهل الأندلسي ومدى إخلاصه لدينه.

خاتمة: وتضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

الدراسات السابقة: والبحث في المدائح النبوية وفي الشاعر ليس بالجديد، بل هناك دراسات خصت لهذا الشأن منها على سبيل الذكر لالحصر:

- الصورة البيانية في مدحة النبوة عند حسان بن ثابت ، شهادة ماجستير
- بنية الموشحات الأندلسية ، ابن سهل الأندلسي - نموذجاً - مقارنة أسلوبية.
- البنى الأسلوبية في مولديات أبي حمو موسى الثاني
- شعر ابن سهل الأندلسي مقارنة أسلوبية ، السنة 2020 ، 2021
- قصيدة المديح في الشعر الجزائري القديم القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مقارنة أسلوبية شهادة دكتوراه .

المصادر والمراجع: وقد اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها:

- ديوان ابن سهل الأندلسي
- إميل ناصيف ، أروع ما قيل في المدح .
- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب
- المدائح النبوية في الأدب العربي ، زكي مبارك .
- المقري التلمساني ، نفح الطيب ، تح احسان عباس صعوبات الدراسة: لا يخلو أي عمل من مصاعب ومتاعب فقد واجهتنا بعض الصعوبات والمتاعب: منها قلة الدراسات المتخصصة في موضوع دراستنا، وضيق الوقت خاصة وأن موضوعنا يحتاج إلى تعمق في بعض الأحيان.
- وقبل أن نختتم هذه المقدمة من واجبنا أن نتوجه بالشكر إلى أستاذنا الكريم المشرف على البحث وعلى ما قدمه لنا من مساعدة وحسن النصح والتوجيه، وإلى كل من كان له بصمة في هذا البحث .

مدخل :

عصر الشاعر ابن السهل

البيئة السياسية:

ابن سهل من مواليد 609 للهجرة وكانت له مسيرة في الأندلس التي عاش فيها والتي اتسمت بأوضاع سياسية مضطربة وكان السبب في ظهور هذه الأوضاع السياسية الحروب المتصلة بين العرب المسلمين والنصارى وهذه الحروب هي الدافع في بعد المشقة وصعوبة الانتقال¹

وما كاد العرب يتوافدون على تلك البلاد حتى تبدأ المنافسة على الولاية وتتملكهم الرغبة في التسلط والزعامة، فتنشأ العداوات التي تحركها القبيلة بين العرب والولاة²

وبذلك فان الوضع السياسي التي عاش فيها ابن سهل الإشبيلي، متعلقة بالحروب بين المسلمين والنصارى، وكانت تخلق بين القبليات صراع وعداوة بينهم .

وأشهر دولها "بنو عبّاد" في إشبيلية، وبنو الألفس، في "بطليموس" وبنو ذي دنون في طليطلة³

هجر ابن سهل إشبيلية بسبب أوضاعها السياسية انتقل إلى سبتة ، وكان اختياره لها لما رأى من تشابه في الأوضاع السياسيّة بينها وبين بلده الأمّ إشبيلية؛ فقد انضمت الدولتان إلى حكم الدولة الحفصية، ومدح الدولة الحفصية في أبياتٍ شعريّة كثيرة، وبذلك كان عهده في سبتة مليئاً بشعر المدح الذي يتسم بالقوّة، بينما كان عهده في إشبيلية سابقاً مليئاً بغزله بموسى .

فقد وضع الفونس السادس نصب عينيه الاستيلاء على الأندلس ولكن سياسته اتجهت نحو إضعاف ملوك الطوائف، "بالتفرقة"، مستغلا حالة الضعف والانحلال التي يعاني منها المسلمون في ظل أمراء الطوائف الذين تناسوا الخطر النصراني المهدق بهم من كل ناحية، وانشغلوا في حروبهم الداخلية مع بعض، فانتشرت الفتن وعمت الفوضى واختل النظام في البلاد، ما كان له أثر عميق في الأوضاع الاقتصادية في البلاد بصفة خاصة وفي الوقت الذي بلغت فيه دولة

¹-مصطفى السيوفي، تاريخ أدب الأندلس - الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة- مصر ، ط1، 2008، ص:22

²- سعيد أحمد غراب- أطيف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأدب الأندلسي - دار العلم والإيمان والتوزيع. ط1، 2010، ص10.

³- المرجع نفسه ، ص:21.

المرابطين بالمغرب ذروة قوتها على يد مؤسسها يوسف بن تشافين، كانت الأندلس على الجانب الآخر تعاني من ضغط الغزو المسيحي من الشمال¹

ضعف العرب في وقت العصر الأندلسي بسبب حكم الطوائف والتقاتل بينهم نسو أنهم مستهدفون من النصارى كانت البلاد تعاني من مصاعب إقتصادية.

وهذه الثورة تتميز بمدلول عميق يشير إلى مدى توتر العلاقة بين الأندلسيين والمرابطين وإلى مدى الألم النفسي الذي يعاينه الفرد الأندلسي من الإحساس بفقدان حريته واستقلاله²

وبالرغم من المعيشة التي عاشها ابن سهل في تلك المدينة إلا أنه تلقى ضغط ولم يستقر في بلاده بسبب فقدان حريته فتخلى عنها .

فاستنجد علماء الأندلس وفقهاؤها وأدباؤها بالأمير يوسف ابن تشافين لتخليصهم من هؤلاء الملوك وإيقاف الخطر³

وقد كان ولاية المرابطين كثيرين من حيث عددهم وتنقلاتهم وتوليهم على الولاية الواحدة كل ذلك من أحواله وهكذا خفت كلمة العرب والمسلمين وصمتت في كثير من بقاع الأندلس، وانطفأت شعلتهم من مدن عديدة كإشبيلية وقرطبة وغيرها ...

فتعد إشبيلية من أهم دول الطوائف، استقل بها بنو عباد سنة 414هـ وهم عرب... وقد بدأ حكمهم عندما اتفق وجهاء إشبيلية على الابتعاد عن الصراع السياسي وخاصة في قرطبة العاصمة، وإدارة المدينة بصورة مباشرة، فرفضوا السماح للقاسم ابن حمود أحد أقطاب الصراع في الدولة الحمادية بعد سقوط الخالفة من دخول إشبيلية مع جيشه البربري وتصفية أي وجود لهم، وتوليه أمر المدينة إلى أبي القاسم ابن عباد مع مجلس من وجهاء المدينة لإدارتها، إلا أنه انفرد بالسلطة فكان المؤسس الأول لدولة إشبيلية، وقد اتبع أبو القاسم وسائل مختلفة في سبيل

¹-عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس - دار النهضة العربية - بيروت - لبنان (دط) (د.ت)، ص:105.

²-محمد مجيد السعيد - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس - دار الراجعية عمان الأردن ، ط3 ، 2008، ص:23.

³-صالح جرار - قراءات في الشعر الأندلسي - دار المسيرة - عمان ط1 (د.ت)، ص:32.

تدعيم مركزه، ومنها ادعاؤه ظهور هشام المؤيد المشكوك في موته واستخدام ذلك في كسب جيرانه¹

ومثلما أنجبت القيروان والقرويين مجموعة من العلماء فكذلك أنجبت منطقة (قهرت) الرستمية نخبة من العلماء منهم (أبو الفضل أحمد بن القاسم) والشيخ (أبو سهل) الذي قيل عنه أنه كان يجيد البربرية ويؤلف بها، إضافة إلى إجادته العربية و(ابن الصغير) صاحب كتاب (تاريخ الرستميين) و(افلح بن عبد الوهاب) ثالث الأئمة الرستميين، والذي عرف بقول الشعر والثقافة الدينية وهكذا استطاع ابن عباد في نحو عشرين سنة أن يقضي على سائر الدويلات الصغيرة القائمة في غرب الأندلس².

ولم يكن الاستيلاء على إشبيلية سهل وإنما جاء بعد حصار دام سبعة عشر شهرا خاضت خلالها جيوشها معارك دامية مع القتالين الذين قطعوا عنها كل طريق يمكن أن يصلها بالعالم الخارجي³.

فكانت هذه الحروب تندلع لأتفه الأسباب نتيجة فقدان الثقة والشك المتبادل بينهم، وفي سبيل تحقيق تلك الأطماع اتجه معظم هؤلاء الملوك إلى طلب مساعدة ملك الإفرنج عدوهم المشترك وأرهقوا كاهل شعوبهم في أخذ الأموال لتقديمها جزية إلى ألفونسو ومن أجل نصرهم ضد بعض من دون أي وازع ديني أو وطني⁴

وقد كانت مشاركة الشعراء في تلك الأوضاع التي مرت بها البلاد بدرجات متفاوتة و مواقف مختلفة، وما جرته تلك المشاركات عليهم من مصائب وويلات برزت في أشعارهم بدقة واضحة هذا ما تعلق بيئة الشاعر السياسية.

¹ محمد شهاب العاني - الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ، دار دجلة- عمان، 2010 ،ص:17.

² خليل إبراهيم السامري وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي ، ط1 ،ص:229.

³ محمد مجيد السعيد - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص:46.

⁴ محمد شهاب العاني - الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، ص:35.

البيئة الاجتماعية: قد فكان المجتمع الأندلسي خليطاً غير متجانس من أصول عدة لم يجمعهم رابط قومي واحد¹

كانت بيئته الاجتماعية متجانسة من حيث الشعوب والاجناس، من مرابطين وموحدين وغيرهم" كانوا جميعاً يشتغلون بالزراعة والتجارة والصناعة، وقد استقطبت المهن المرتبطة بالطب والصيدلة والمعاملات المالية من العرب وغيرهم²

فأسرفوا في الظلم والاستبداد إغراق الشعب بشتى وسائل التسلط والاستنزاف من أجل إشباع رغباتهم في إظهار الأبهة والمدنية على مجالسهم بتزينها وإعمارها بكل ما يضيفي عليها سمة رقيقة رمز النعومة والترف الحضاري³

كانوا جميعاً يعملون عملاً شعبياً في القبيلة مثل الزراعة وغيرها من أجل إشباع رغبات الناس وذلك من أجل الترف والمال الكثير، وذلك عكس على حياتهم الاجتماعية .

"...وهو بالاشك يشكل عبئاً جديداً على الأندلسيين ينعكس بدوره على حياتهم الاجتماعية"⁴

فليس من السهل تصور المكانة الاجتماعية للمرأة الأندلسية في العصر المرابطي، إذ إن المصادر التي تعرضت لهذا كانت تهتم فقط بمنزلة المرأة المحمودية في مراكش، التي تمتعت بنصيب وافر من الحرية بؤاتها لان تتدخل في كثير من الشؤون الاجتماعية والسياسية وأن يكون لها أري مسموع فيها⁵

¹-توفيق عمر إبراهيم، صورة المجتمع الأندلسي في القرن 1 للهجرة، دار غنين، عمان - الاردن ، 2009، ص:91.

²-ينظر: ابن عبد الرحمان سهام، شعر ابن عمار الأندلسي دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، 2008-2009 ص:30.

³-محمد مجيد السعيد - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص:51.

⁴-محمد مجيد السعيد - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص:64.

⁵-محمد مجيد السعيد، المرجع نفسه، ص:55.

فكان المجتمع الأندلسي، يسمح للمرأة أن تمارس عددا من الأنشطة الاجتماعية والدينية والثقافية بشيء من الحرية، مما جعلها أكثر تحررا من مثيلاتها في المشرق وسائر البلدان الإسلامية الأخرى هذا ما تؤكد الأبحاث والدراسات التي تناولت الحديث عن المرأة الأندلسية¹ وظهر عدد كبير من العلماء وصنفت العديد من العلوم والصنائع والمعارف والآداب والفنون فتتسم الحياة على هذه الأناقة حتى وصلت لأنواع من الانغماس في الحضارة وساعدهم على ذلك وفرة الخيرات - في معظم أحوال الناس على نبيل العصور² واتصاله بطبيعة الترف في قصور الأمراء ودور الأثرياء، فهم يباليغون في أثمانهن إذا أحسنت الجارية فنونا متنوعة من علم وحظ وشعر³ هذا ما تعلق ببيئة الشاعر الاجتماعية.

البيئة الفكرية : ازدهرت الحياة الثقافية والفكرية في الأندلس خلال الحكم العربي الممتد إلى أكثر من ثمانية قرون، على الرغم مما أصاب البلاد آنذاك من الاضطراب السياسي فترات غير قصيرة وما كان يصحبه من القلق ، وعدم الاستقرار الناتجين من الفتن والثورات ومحاولات الأمراء للبقاء حيث لا مجال لبحث ، ولا ميدان الثقافة أو تدوين⁴

تميزت البيئة الفكرية الذي تولاهما الحكم العربي بعد الاستقرار وذلك بكثرة الفتن والثورات .

فلا شك أن جماعة من المرابطين (المثلثين) كان يستدعون أشخاصا معينين للاستفادة من علومهم مغدفين عليهم العطايا والنعم هذا ما ذكره صاحب " النفح أن عليا بن يوسف استدعى الفيلسوف المتزهده مالك بن وهيب من إشبيلية إلى حضرة مراکش أمينه وصاحبه وجليسه"⁵

¹ - محمد صبحي أبو حسين، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، علم المكتبة الحديث، الأردن 2005، 8، ص: 361.

² - محمد رضوان الداية - في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، دمشق، (دط)، 200، ص: 43/42.

³ - بن بسام الشن تريني الذخيرة، من محاسن أهل الجزيرة تح: إحسان عباس، الدر العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (دط)، 1978، ص: 1، ج 1، ص 201.

⁴ - سعيد أحمد غراب، أطراف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأندلس، ص: 29.

⁵ - ينظر: المقري التلمساني: نفح الطيب، ج 3، ص: 478.

وكان لبيتهم الأثر البالغ في استرداد قرائحهم، فمن الشعوب العربية اتخذوا عاداتهم وأزياءهم، وحولوا عمارتهم إلى عمارات زاهرة ملهمة، وطبيعتهم إلى طبيعة ساحرة وشاعرة .

ومن هنا ظهرت نهضة فكرية شاملة نضجت فيها العلوم، وازدهرت الآداب وأثمرت الفنون، ونشطت الدراسات التاريخية والفلسفية واتسعت الحركة الفكرية بمختلف ألوانها وكان نتاجها جمهرة وفيرة من العلماء وقادة الفكر خلدهم التاريخ ورددت الأندلس ذكرهم في المحافل والمجامع

1

إذ احتلت طبقة الفقهاء والعلماء منزلة رفيعة في كامل مجتمع المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين. وظهرت بعض الأدبيات إلى جانب الأداء، كما شارك الحكام في هذه النهضة الأدبية الأندلسية، وكان هذا الأدب يساير في هذه الفترة الاهتمام الواسع بهذا الأدب لا سيما النشر²

فالنثر الأندلسي فيه رقة وجمال وفيه خيال لطيف وصور براقة ملونة، فالأندلسيون لم يتركوا بابا من أبواب الشعر المعروفة إلا عرفوه ونوعوا أغراضه وفنونه وشاركوا في أساليبهم³ وعرف عصر المرابطين ظهور فن شعبي جديد في الأندلس خلال القرن السادس الهجري (16هـ) وانتشر في المغرب والمشرق، بل وفي أوروبا أيضا ذلك هو فن الأزجال، ويلاحظ أن هذا الفن هو تطور لفن الموشحة، بمعنى أن الزجل والموشح فن شعري واحد مع فارق أساسي هو أن الموشحة عربية أصيلة في لغتها ما عدا القفل أو الجزء الأخير منها وهو الخرجة أو المركز الذي يكون باللغة الإسبانية أو العامية الأندلسية، أما لغة الزجل كلها لغة عامية دارجة على ألسنة عامة الناس، ويمثل هذا اللون من الشعر الشعبي الزمان القرطبي، ولقد لقي هذا الفن الشعبي إقبالا ورواجا في بلاد المغرب والمشرق⁴.

1- ابن عبد الرحمان سهام، شعر ابن عمار الأندلسي، ص: 21.

2- ينظر: سعيد أحمد غراب، أطراف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأندلس، ص 40 .

3- ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نظير عبود، (دط)، (د.ت)، ص: 39.

4- خض اروبي زينب، جماليات قصيدة المديح في شعر الأعمى التظيلي، رسالة ماجستير، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، 2008، 2009، ص: 29.

عرف عصر المرابطين ظهور فن الزجل، وهو يشبه شعر الموشحات ويقال أن الزجل والموشح فن شعري واحد والزجل يكون بلغة عربية او دارجة ولقي هذا الفن اقبال كثير في هذا العصر فلم يقتصر نشاط الأندلسيين على الميادين الدينية و الأدبية و الفلسفية، وإنما كانت لهم عناية كبيرة في المجالات العلمية التجريبية التطبيقية كالطب و الصيدلة و العشب و النبات و الفلاحة و الكيمياء و الرياضيات و الفلك¹

ففي عصر المرابطين نشطت الحركة العلمية في شتى العلوم و ظهر أكابر العلماء في كل علم كما اعتنوا بالأدب وأهله عامة وأدباء الأندلس خاصة ويلاحظ أن الأدب ازدهر بفضل الخلفاء والأمراء وعنايتهم بالنشر والشعر و تنافسهم في الناحية الأدبية و الثقافية و هذا بفضل ابن زيدون، و ابن عمار، والأعموا بن سهل الأندلسي الذي سوف نثبت ترجمته وما تعلق بها من أمور وحيثيات.

¹ -مصطفى زيور، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد1 نيسان ، دار النهضة بيروت، ص: 58.

الفصل الأول :
ابن السهل ومذهبه
العقدي والديني

- المبحث الأول : ترجمة ابن السهل الاشبيلي
- المبحث الثاني : أخلاقه ومذهبه والديني .

-ترجمة الشاعر ابن سهل الأندلسي :

مولده :

هو إبراهيم ابن سهل الإشبيلي وهو إسحاق ابن سهل الإسرائيلي الإشبيلي نشأ في إشبيلية الأندلسية في عهد دولة الموحدين ثم هجرها فور الاستيلاء عليها¹

عاش ابن سهل في الفترة ما بين (605هـ-649هـ). أي في النصف الأول من القرن السابع الهجري ، في الوقت الذي يعد آخر عصور عرب الأندلس ، إلا أن الشعر مع هذا كان على حالة من الرقي والازدهار والناس كما هم يمجدون الشعر والشعراء، فكانت أيامها الأخيرة أيام عز اللغة وفنونها ونمو الأدب والنهوض بالشعر، والتفنن في أساليبه وفي وسط هذا البحر الزاخر بالعلماء العامر بالشعراء والأدباء، وبرز شاعرنا ابن سهل الأندلسي وتالألاً نجمه في سماء الأدب، حتى سمي شاعر إشبيلية، ووشاحها الأول.²

ولد ابن سهل الأندلسي وترعرع في مدينة إشبيلية وهي مدينة الشعر والشعراء من أصل يهودي وأسلم وتلقى العلم من أشهر علماء عصره في العصر الأندلسي . وكان من أكبر الوشاحين في عصره . وكان له صلات بارزة بشعراء عصره مثل الرندي وابن سعيد، جاب مدن الأندلس واستقر في مورقة، وعمل كاتباً في الديوان عند صاحب سبته، وعلى الرغم من أن لقبه كان الإسرائيلي، إلا أن شعره تأثر كثيراً بالثقافة الإسلامية.

إن ابن سهل قضى مرحلة الشباب حافلةً بمجالس اللهو والمناجاة في منتزهات إشبيلية، والتي بقي فيها على الرغم مما فيها من ظروف سيئة، وكان عزاءه الوحيد هناك وجود أصدقاء له .

¹- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، دت ، 5، ص133

²- ابن السهل الأندلسي الديوان يسرى عبد الغني عبد الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 2003م، ص5.

نسبه:

لقد لقب بألقاب الكثير منها الإسرائيلي لأن أباه يهوديا وأسلم، واختلف الكتاب في صدق إسلامية الشاعر، ولا سيما في فترة شبابه في إشبيلية عندما أكثر من الغزل بـغلام اسمه موسى مازجا حديثه بين موسى الغلام وموسى "النبي" وإذا كان اسمه في الظاهر أو الباطن، لكن صديقه أبا البقاء الرندي، أعلن حسن إسلامه ولقبه بالإسلامي¹

ابن سهل الأندلسي كان يهوديا وشكك أكثر العلماء على صحة إسلامه، ولكنه أسلم قبل مماته. كان يلقب باسم الإسرائيلي، غير أنه ما لبث أن ألتحق باسمه لقب آخر حينما اعتنق الدين الإسلامي فأضاف إليه "أبو البقاء الرندي" لقب "الإسلامي".

غير أن والد ابن سهل كان من يهود إشبيلية وعرف أباه بأبي العيش سهل نسبة لاسم والده والمدينة التي عاش فيها بالإشبيلي وابن سهل من شعراء بني يهود الذين كان عصرهم من أزهى عصور الحضارة في بلاد الأندلس.

ثقافته: يروي أن "الهيثم بن أبي غالب الإشبيلي" الشاعر نظم قصيدة يمدح بها المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود ملك الأندلس وكانت أعلامه سوداء، لأنه بايع الخليفة ببغداد وقدم عليه من بغداد بالتولية والولاية والنيابة ولا يعلم أن أحدا قط بايع بالأندلس لعباسي منذ افتتحت، فوقف إبراهيم بن سهل على قصيدة الهيثم وهو ينشدها لبعض أصحابه وكان إبراهيم إذ ذاك صغيرا فقال إبراهيم للهيثم " زد بين البيت الفلاني والبيت الفلاني * من البسيط:

أعلامه السود إعلام بسودده. كأنهن بجذ الملك خيلان²

¹ -عمر توفيق الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس موضوعاته وفنونه، دار عباء، ط2012، 1، م، 1433هـ، ص212.

² -صفدي، الوافي بالوفيات، دار احياء التراث العربي، ج6، (ط1) 1420 هـ-2000م، بيروت لبنان، ص:6

فقال الهيثم إن عاش هذا ليكونن أشعر أهل الأندلس، انعكست أصداء حياة اللهو على شعره فأكثر من الغزل بالغلمان الذي وجد بذوره في مجالس العلم وفي ملاهي إشبيلية ، كما أكثر من وصف الخمر والطبيعة¹

إن ابن سهل تلقى العلم من أشهر علماء عصره ، أمثال أبي الحسن الديباج وابن السعيد، وتفتحت شاعريته في وقت مبكر .

حبه: ردد في كل غزله وكل شعره اسما واحد وهو (موسى وقالوا إنه أراد به موسى كليم الله عليه السلام وقالوا : بل هو غلام يهودي كان يهواه ،ومن هؤلاء القائلين أثر الدين ابن حيان فقد قال : (أكثر شعره في صبي يهودي كان يهواه) و أنا أرى هذه الرأي بدليل قوله :

أصبو إلى قصص الكليم وقوله فصدا الذكرك عندها وتعرضا .

وقوله :

أبطل موسى السحر فيما مضى . وجاء موسى اليوم بالسحر .

فموساه هذا إما هو معشوق صحيح بهذا الاسم وإما شخصية اتخذها ستارا لمعشوق آخر، وقد تكون داعيا من دواعي الشعر تغنى بها وإن يكن في هذا الرئاسات فيه من ضعف .²

من أعماله: "ديوان إبراهيم ابن سهل الأندلسي" نال شعر ابن سهل إطراء كثير من القدماء ، ويكثر في شعر ابن سهل الغزل، ثم الخمريات والطبيعة وبعض شعر المجون والمدح، والغالب غزله بموسى، وقد وصف غزله بالرقه والابتكار والطرافة، أما شعره المتعلق بالخمريات والطبيعة فقليل، وتظهر فيه قدرته على التصرف في اللغة أما مديحه فأغلبه يعود إلى المرحلة التي تلت إشبيلية، ثم اتصل بالسياسة وأهلها وخاض في فن المديح وما يقتضي من التزام بقواعد القصيدة

¹- فوزي عيسى ، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، 2007 ، ط1،

ص 260 ، 261

² - ديوان ابن السهل الأندلسي ، (جمعه ورتبه وضبطه) احمد حسين القرني ، المكتبة العربية ، الطبعة 1، سنة 1344هـ -

1926م)

المدحجية التقليدية، من غزل ووصف للرحلة وصولاً إلى الممدوح، غير أن الغالب على مدحه الصنعة وخلوه من الصدق والعاطفة¹.

كانت من أهم أعمال ابن سهل الإشبيلي شعر الغزل والطبيعة، وفي أغلب الأحيان التغزل بموسى ومدحه يخلو من الصدق .

موضوعات شعره :

من الأغراض التي كتب فيها ابن سهل والتي ظهرت في ديوانه الغزل، الوصف، والمدح، حيث يرى عيسى فوزي سعيد أن : الغزل حظي بمساحة واسعة في ديوانه، حيث بلغت قصائده الغزلية نحو ثلاثة وسبعين قصيدة من مجموع مائة واحد وثلاثين قصيدة، هي كل قصائد الديوان، ومعنى ذلك أن القصائد في الغزل تزيد على نصف ديوانه، ثم يأتي المدح في المرتبة الثانية، ويقل شعره في الموضوعات الأخرى، فله تسع قصائد في وصف الطبيعة والخمر، وأربع قصائد في الرثاء، والباقي في أغراض أخرى².

- المدح: وهو نقيض الهجاء وهو حس الثناء، والصحيح أن المدح مصدر، والمدحية اسم والممدوحة، وهو غرض من أغراض الشعر يقوم على الثناء³.

نجد المدح يأتي في المرتبة الثانية في شعره، ودرّ مدحه تلك القصيدة، العينية التي مدح بها رسول الله عليه الصلاة والسلام والتي مطلعها⁴

تنازعني الآمال كهلا ويافعا ويعدني التعليل لو كان نافعا .

وما أعنق العليا سوى مفرد غد لهول الفلا، والشوق والنوق رابعا

¹-بجحت, منجد مصطفى, الادب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ; دار الياقوت, 2001 م, ص245

²-ينظر: عامر محمد، خير الجبوري التناص في شعر ابن السهل، ص7، نقلا عن عيسى فوزي سعيد، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين ص266، 267 .

³-الادب الجاهلي، غازي الطليعات، وعرفان الاشقر، دار الارشاد، حمص، ط1 صفحة 160

⁴-ابن سهل الأندلسي صفحة 08

أ-الغزل :وهو اللهو مع النساء ومغازلتهم ومرادتهم ومحادثتهن والتغزل هو التكلف¹.

لقد كان ابن سهل يحس أن قبح منظره لن يهئ له الحب الطبيعي، وكان غزله في موسى تنقبا عن تلك الرغبات المكبوتة في جوانحه، ولذلك كان غزله أقرب إلى الغزل الأنثوي فنجده يتغنى بسحر ألاحظه، وجمال الخال على خده، ولكنه على الرغم من كثرة اهتمامه بوصف محاسن معشوقه إلا أنه لم يفلس في غزله، ولم ينزل فيما انزل فيه شعراء الغزل بالغلما من عبث وإسفاف... وإنما ارتفع بغزله إلى مستوى الشعراء العذريين، واكتفى من محبوب بمجرد التعاطف معه أو العطف عليه، وكان في مخاطبته له حريصا على أن يؤكد له طبيعة هذه العلاقة أو الحب العذري²

ومثاله في الديوان نجد قوله³:

أقبل شوقي سلوة عن مقبل

بسوم ختام للصبر خاتمة فضا .

أموسى !أيا بعضي وكلي حقيقة

رب مسلك بشداه ،رعفا .

-الوصف: قال قدامة ابن جعفر : "الوصف إنما هو ذكر الشيء بما هو فيه من الأحوال⁴.

يقول أحمد الضيف صورة ابن سهل في صورة شاعر وصاف يجيد الوصف، وغازل يجيد الغزل، ووجداني لا يخرج عن دائرة وجدانية، ومصور بارع لما يرى ويسمع، قاصر الخيال لكنه مبدع في الأسلوب متفنن في الكلام⁵.

فابن سهل اشتهر بالوصف والغزل أكثر من اشتهاره بالأغراض الأخرى، كما كان من أكبر الوشاحين في عصره .

¹-الأدب الجاهلي قضاياها وأغراضه وأعلامه، غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الفكر، ط2، 2007م، ص109.

²-المرجع نفسه صفحة 267.

³-ابن السهل الأندلسي، الديوان ص51.

⁴-الأدب الجاهلي، غازي طليمات، وعرفان الأشقر، دار الإرشاد، حمص، ط1، (1412-1992م) ص64 .

⁵-ابنسهل الأندلسي، الديوان، ص08 .

ونجد في ديوانه تسع قصائد في وصف الطبيعة والخمر، ومثال ذلك وصف مدينته وهو يودعها بقصيدة مؤثرة قال فيها¹

- ولما عز منا ولم يبق من مصانعة الشوق غير اليسير .

- بكيت على النهر أخفي الدموع. فعرضها لوئها للظهور .

- ولو علم الركب خطي إذن لما صحبوني عند المسير .

-**الثناء** : وهو البكاء على الميت ومدحه : فالثناء يوافق المدح في المعاني ويخالفه في المشاعر ، قال ابن رشيق: "وليس بين الثناء والمدح فرق، إلا أنه يخلط بالثناء شيء يدل على أن المقصود به ميت ."²

لم يكثر ابن سهل في ديوانه من هذا الغرض حيث نجد أن له أربع قصائد في الثناء ، واحدة في ثناء والده ابن خلاص كما نجد له قصيدة مجازية كلفه ابن خلاص في نظمها³

-**الهجاء** : وهو غرض من أغراض الشعر يتناول فيه الشاعر بالذم والتظهير بعيوب خصمه المعنوية والجسمية وهو نقيض المدح .⁴

وهجاء الإشبيلي يكاد يكون غير وارد⁵

وكما وجدنا في الشعر العربي لابن سهل إبداع في معظم أغراضه الشعرية، وتميزه برقة التعبير فالغزل في ديوانه يشغل مساحة واسعة إذ بلغ حوالي ثلاثاً وسبعين قصيدة من مائه وإحدى وثلاثين قصيدة هي كل مجموع قصائد هذا الديوان والغزل يزيد أكثر من النصف في ديوانه ثم يأتي بعده غرض المدح في المرتبة الثانية .

¹ - الأدب الجاهلي ،غازي الطليعات،صفحة 37

² -الأدب الجاهلي ، غازي الطليعات ،وعرفان الأشقر ،دار الارشاد ،حمص ،ط1، ص194 .

³ -ينظر ،عامر محمد ،دخيل الجبوري ،التنصص في شعر ابن سهل ص7

⁴ -الأدب الجاهلي ،الصفحة 179 .

⁵ -ديوان ابن السهل ،يسرى عبد الغني ،صفحة 8

وفي الغزل أغلب قصائده عن موسى، أما في المدح يلتزم ابن سهل بالمقدمات التقليدية، وأشار إلى خصال حميدة كما أن ابن سهل الإشبيلي اشتهر أكثر شيء بالموشحات وأكثر النظم منها .

وهذه كانت أهم الأغراض في ديوان ابن سهل الأندلسي .

-قيمة شعره : تميز شعره بالرقة والليونة وصدق العاطفة، لأنه كان شاعر الوجدان "الذي انطلق في عالم العواطف يملئ جناحية وراح ينسج من خياله أجواء الغرام رحبة واسعة الأطراف. وينتقل فيها من أفق إلى أفق في رقة القلب الذي كوته اللوعة وفي ارتعاشة النفس التي تبخرت توجعا وظلما، وشعره شعر العذوبة، وشعر اللين، والنضارة شعر السهولة التي تنسكب انسكاب الماء الهادئ، وهو شعر الموسيقى الساحرة التي توقع على أوتار للنفس في غير ما نشوز ولا اضطراب¹

إن ابن سهل تميز في شعره بالدقة والتعبير، والكرم والشجاعة، وإن القارئ لشعره يشعر أنه أمام حيز معبر عن الأدب الأندلسي، فأدبه هو أدب العاطفة أكثر مما هو أدب المنطق .

عيوب شعره: يعاب على شعره قصور الخيال، وقلة الآراء وتكرار المعاني حتى لا تستطيع أن تعطي حكما عنه بقراءة قصيدة واحدة له، وفي ما وصل إلى يدي منه موشحاته بعض تعقيد لفظي سلم منه شعره.²

في أغلب موشحاته يوجد تعقيد في لغة المعاني ويأثر هذا على قصيدته الشعرية فابن سهل من الوشاحين الكبار في عصره الأندلسي .

-ديوانه :

¹-محمد الاقراني، م، س، ص73.

²-ديوان ابن السهل، الصفحة 09.

كلمة "ديوان" مشتقة من الفعل دون يدون تدوينا، ودون الديوان جمعه¹. وكلمة الديوان أصله دوان فأبدلت دواوين الدواوين ياء وتكون ديوانا².

والديوان هو مجتمع الصحف أي الكتاب الذي يجمع فيه قصائد الشعر، أما الديوان فجمعه دواوين³

لقد حام حول ما قيل في ذلك ولم يدع صغيرة ولا كبيرة مما خطر بنفسه، وأملاه عليه خياله أو مما عرف في شعر غيره وجاءت به أخيلية الشعراء في ذلك إلا ذكره في شعره وكساه لفظا من عنده، ونظمه في كلامه حتى يجد العاشق في شعره كل معنى يدب في نفسه أو شعور بجسمه، أو صورة لمن يحبه⁴.

إن لابن سهل ديوان شعر في غرض الوصف والمدح والرثاء وغير ذلك من الأبواب الشائعة عند العرب وكما قلنا في السابق أغلب شعره في الغزل ومعظمه عن موسى الذي سبق وتحدثنا عنه من خلال قراءة الديوان.

ضمّ ديوان ابن سهل الأندلسي العديد من القصائد، التي تنوعت بين مدح وغزل وقلة في الهجاء، ومن أبرز هذه القصائد:

قصيدة أبا حسن لا حسن الله حالة.

قصيدة أبو طالب في كفه، وبخده.

قصيدة أموسى لقد أوردتني شرّ مورد.

قصيدة قل لمن أسهر بالعين الجفون.

قصيدة أموسى متى أحظى لديك ومبعدي.

¹ - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، مصر، دار المعارف، (1392 هـ/1972م) ص305

² - بطرس البستاني، قطر المحيط (بيروت. مكتبة لبنان 1869م) ص276.

³ - لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، ط28، (بيروت، دار المشرق، 1986 م) ص230

⁴ - محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، بيروت، دار الجبل، (1412هـ-1942م) ص523.

قصيدة كأنَّ الخالَّ في وَجَناتِ موسى.

وفاته: أما وفاته فقد وردت في بعض كتب التراجم؛ قال ابن الأبار في تحفة القادم: كان من الأديب الأذكياء مات غريقاً مع ابن الخلاص بسبب القارب الذي غرق بهم في قدومهم إلى إفريقية مع أبي الربيع سليمان بن علي الغريغر قبل سنة ست وأربعين وست مائة¹

المطلب 1: مذهب ابن سهل العقائدي والديني

مفهوم المذهب :

1. لغة: المذهب في اللغة: من مادة ذهب، وهو المكان الذي يذهب إليه ونقل إلى المعتقد والطريقة، ويقال: ذهب مذهب فلان أي قصدت قصده واتخذت طريقته²

المذهب أيضاً: المعتقد الذي يذهب إليه صاحبه³

2. اصطلاحاً: ذكر الشيخ أحمد بن محمد الحموي أن المعنى اللغوي نقل إلى معناه في عرف الفقهاء⁴، وقال العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى " وأصله يعني المذهب مكان الذهاب ثم استعير لما يذهب إليه من الأحكام تشبيهاً للمعقول بالمحسوس ثم غلب على الراجح ومنه قولهم المذهب في المسألة كذا⁵ أي الراجح فيها في المذهب كذا ووجه هذا النقل: هو لما كانت الفروع الاجتهادية غالباً خفية بعيدة المنال شبهت إدارة الذهن لاستخراج حكمها بمن يذهب إلى المكان الحسي البعيد الذي يواجه الذهاب إليه مشقة وجهداً في العادة، وقد عرف الشيخ أحمد بن محمد الحموي بأنه: ما اختص به المجتهد من الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية المستفادة من الأدلة الظنية"⁶

¹ - الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ط1 (دم معهد الألماني 1997م)، ص223.

² - القاموس المحيط الفيروز آبادي (أ.ذهب) المصباح المنير للحموي (أ.ذهب) لسان العرب، لابن منظور (أ.ذهب)

³ - المعجم الوسيط (أ.317)

⁴ - عمر عيون البصائر للحموي (أ/30)

⁵ - تحفة المحتاج لابن حجر (أ/39)

⁶ - عمر عيون البصائر للحموي أ.30

مذهب ابن سهل الديني:

- كان يهوديا تغلغت اليهودية في نفسه حتى عللوا رقة شعره باجتماع ذل العشق وذل اليهودية فيه - كما قدمنا، ثم أسلم وقرأ القرآن وعاشر المسلمين ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة ، واستدلوا على إسلامه بقوله:

تسللت عند موسى بحب محمد هديت ولولا الله ما كنت اهتدي

وما عن قلى قد كان ذلك، وإنما شريعة موسى عطلت بمحمد

ولكن البعض رماه بعدم الإخلاص، وقالو أنه كان يتظاهر بالإسلام، ولا يخلو من قدهم واتهام ، وكان أبو الحسن علي بن سمعة يقول: "شيثان لا يصحان إسلام إبراهيم بن سهل وتوبة الزمخشري من الاعتزال" وقد روى العلامة الخطيب أبو عبد الله بن المرزوق أنه مات عن دين الإسلام، وكذلك قال ابن الآبار وأثير الدين أبو حيان وقد اجتمع مع ابن سهل جماعة في مجلس آنس وسألوه- بعد أن أعمت الراح فيه - عن إسلامه في الظاهر والباطن فأجابهم :

للناس ما ظهر والله ما أستتر، وعلى كل فسواء أخلص في إسلامه أم لم يخلص، فقد ولد يهوديا ومات مسلما¹

المذهب الديني في شعر ابن سهل الأندلسي:

1. تأثره بالقرآن الكريم: تأثر ابن سهل بالقرآن الكريم من خلال اقتباساته وتوظيفاته لبعض الآيات القرآنية في قصيدته التي كان يشكو فيها هجر الأحبة، جميع أبيات القصيدة مقتبسة من سورة مريم فالببيت الأول منها يقول ابن سهل فيه :

لست انسى الأحباب ما دمت حيا* ولعمري نأو

مكانا قصيا

فهنا نجد اقتباس من الآية (22) لقوله تعالى "﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [مريم

¹-ديوان ابن سهل ص13

[22].

وفي البيت الثاني قال:

وتلو آية الوداع فخرو خفية البين سجدا وبكيا

كذلك هنا اقتباس من الآية (58) قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مریم: 58].¹

والبيت الثالث قال:

فبذكرهم تسيح دموعي كلما اشتقت بكرة وعشيا¹

هنا نجد اقتباس من الآية (63) قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ رِزْقُهَا مِنْ رَبِّهَا غَيْرَ كَافٍ فِيهَا﴾ [مریم: 62].

والبيت الرابع قال:

ونأو فصرت أنادي في ظلام الدجى ندا خفيا

هنا اقتباس من الآية (03) قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مریم: 3].

وفي البيت الخامس يقول:²

واناجي الإله من فرط حيي كمناجاة عبده زكريا

هنا اقتباس من بداية سورة مريم الآية (01) قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كَهَيْعَتِ﴾ [مریم: 1].

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِيًّا﴾ [مریم: 2].

²-ديوان ابن سهل. ص. 417.

وفي البيت السادس يقول:

وهن العظم بالبعد فهب لي رب بالقرب من لدنك وليا

هنا اقتباس من الآية (05) قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مریم: 5].

وفي البيت السابع قال :

واستجب سيدي دعائي فإني لم أكن بدعائك ربي شقيا

في البيت السابع اقتباس من الآية (07) قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مریم: 4].

وفي البيت الثامن قال :

قد يرى قلبي الفراق وحقا كان يوم الفراق شيئا فريا

هنا نجد اقتباس في الآية (27) قال تعالى: ﴿فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مریم: 27].

وفي البيت التاسع يقول:

ليتني مت قبل هذا واني كنت نسيا عند الورى منسيا

هنا اقتبس من الآية (28) قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [مریم: 23].

والبيت العاشر قال :

لم يكن ذاك باختيارى ولكن كان أمرا مقدرًا مقضيا

هنا اقتباس من الآية (21) قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مریم: 21].

وفي البيت الثاني عشر قال :

إن لي فالفراق دمعا مطيعا وهوى قاصيا وصبر عصيا

اقتباس من الآية (14) لقوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَمَنْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: 14].

وفي البيت الثالث عشر قال:

انا في عاذبي وحي وشوقي حائرا أيهما أشد عتيا

وهنا اقتبس من الآية (68) قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 69].

وفي البيت الخامس عشر قال :

انا ميت هوى فيوم أراكم ذلك اليوم يوم ابعث حيا

اقتباس هنا من الآية (33) قال تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: 33].

- ذكر الشاعر ابن سهل في جميع ابيات قصيدته اقتباسا من سورة مريم فكل بيت نجد فيه اقتباس من آية من آيات سورة مريم وهذا راجع لثقافته الإسلامية ونلاحظ ان الشاعر اعتمد على شكوى مريم عليها السلام في شكواه لأحبه

2. تأثيره بالحديث الشريف:

الكثير من العلماء والفقهاء عارضوا ابن سهل من خلال ما يقتبسه في شعره والعديد منهم قالوا إن هذه الاقتباسات تمس بالأخلاق والدين الإسلامي لان ابن سهل يعتبر شاعر غزل ويوظف الغزل والاقتباس معا في شعره من خلال بيته الذي يوظف فيه من الحديث الشريف¹

¹- كتاب الأربعين حديثا (صدر اليدن) تح /محمد محفوظ. م/دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط/2 سنة 1983 ص60.

أيقنت أنك قاتلي ومعذبي ولكل ناو في الحقيقة ما نوى

هنا نلاحظ ان ابن سهل اقتبس البيت من الحديث الشريف "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى "

-هنا واضح في التوظيف الاقتباس ان ابن سهل له ثقافة إسلامية لاستعماله لبعض الكلمات والتوظيفات ولكل كلمة بعدها الديني والتاريخي مثل استعماله لكلمة الكوثر والزمزمي في الكوثر يقول " الكوثر في الجنة حافته من الذهب ومجراه على الدور والياقوت وترتبه أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج "

اما زمزم فقال عنه عليه السلام (ماء زمزم لما شرب له) هنا الكلمتان دينيتان استعمالهما للمدح ولكن بصورة فنية.

الفصل الثاني :
فن المديح النبوي عند
ابن سهل وأثر ديانته

- المبحث الأول : فن المدائح النبوية النشأة والتطور.
- -المديح في الأدب المغربي .
- المبحث الثاني : عينة من شعر ابن سهل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. وإخلاصه لدينه .

• المبحث الأول: فن المدائح النبوية النشأة والتطور.

تمهيد :

المولد النبوي الشريف إطلالة للرحمة الإلهية بالنسبة للتاريخ البشري جميعه ، فلقد عبر القرآن الكريم عن وجود النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه «رحمة للعالمين»، وهذه الرحمة لم تكن محدودة فهي تشمل تربية البشر وتزكيتهم وتعليمهم وهدايتهم ولا يقتصر ذلك على أهل ذلك الزمان، بل هو ممتد على امتداد التاريخ بأسره ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة:03] قوله: وَأَخْرَيْنَ جمع آخر بمعنى الغير، والجملة معطوفة على قوله قبل ذلك فِي الْأُمِّيِّينَ. فيكون المعنى: هو- سبحانه- الذي بعث في الأميين رسولا منهم، كما بعثه في آخرين منهم. لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ أي: لم يجئوا بعد، وهم كل من يأتي بعد الصحابة من أهل الإسلام إلى يوم القيامة، بدليل قوله- تعالى-: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ. أي: وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكة، ولأنذر به جميع من بلغه هذا الكتاب، ووصلت إليه دعوته من العرب وغيرهم إلى يوم القيامة¹.

إن الباحث في الشعر المغربي القديم يستطيع أن يرصد في ضوء أي من هذه التصورات حركية، وإن يجد فيه نماذج لكثير من الاتجاهات والقضايا رغم كثرة ما ضاع منه، وذلك أن الشعراء المغاربة كان شأنهم شأن الكثير من شعراء الأندلس في استلهام مذاهب الشعر العربي العام، وهناك أمثلة كثيرة لتأثر بعض شعراء المغرب بشعراء المشرق كأبي تمام والمنتبي.

أولا : مفهوم المدح

أ- المدح لغة : جاء في لسان العرب لابن منظور : المدح نقيض الهجاء ، و هو حسن الثناء يقال: " مدحته ، مدحة واحدة ، ومدحه ، بمدحه مدحا و مدحة " هذا قول بعضهم و الصحيح أن المدح المصدر و المدحة الاسم ، و الجمع مدح و هو المديح و الجمع هو المدائح و الأماديح ، الاخيرة على غير قياس ونظيره حديث ,واحاديث

¹-سورة: [الجمعة:03], تفسير ابن الوسيط

قال أبو ذؤيب :

لو كان مدحة حي منشرا أحدا. أحيأ أبأكن , يا ليلي , الأماديح¹

والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة و الأمدوحة ورجل مادح من قوم مدح ومديح و ممدوح .²

ومن هذا المقول نصل إلى أن مصطلح المدح في معناه اللغوي يدور حول الثناء والإطراء والتمجيد والتغني بالخصال الحميدة والإشادة بمحاسن الممدوح.

ب - المدح اصطلاحا : " هو تعدد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة، ظهار للتقدير العظيم الذي يکنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا³

"لقد تناولت القصيدة العربية أربعة أغراض وهي: المدح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرع من كل صنف منها فروع له، فيكون المدح المرثي والافتخار والشكر واللفظ في المسألة، ويكون من الهجاء الذم والعتب، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ ومشاكل ذلك من نوعه، ويكون من اللهو والطرده وصفة الخمر والمجون وما أشبه ذلك وقاربه⁴. على حد تعبير قدامة بن جعفر. إلا أن الناقد العربي الحديث "محمد غنيمي هلال" يقصر القول في أغراض الشعر العربي القديم على جنسين من الأجناس الأدبية وهما: المدح والهجاء.

التعريف الاصطلاحي:

يعرفه الدكتور عمر فروخ بأنه " فن من فنون الشعر، كان الجاهليون يمدحون بالملكأرم التي يفتخرون بها، كما يعرفه الدكتور شوقي ضيف فيقول: المدح في الجاهلية كان ضربين الأول

1 - ابن منظور ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج2، الصفحة ص589

2- المرجع نفسه. ص 590

3_ جبور عبد النور: المعجم الادبي، طبع دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1984، ص245

4_ قدامة ابن جعفر : نقد النثر، طبعة القاهرة، 1938، ص81

مديحا للشكر والإعجاب، يغلب على أهل البادية كما نرى عند امرئ القيس وعند زهير بن أبي سلمى والمتزددين على الحضرم كما نرى عند النابغة والأعشى¹

والعادة الشائعة في البيئة الجاهلية، هي توجه الشعراء إلى الشخصيات البارزة بالمدح والثناء، وهذا يدور حول القيم التي يعتز بها العربي من شجاعة وكرم وغيرهما" وعندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم اتجهت إليه أنظار العرب في الجزيرة العربية، وانقسموا اتجاه رسالته السماوية ما بين مؤيد لها ومؤمن بها ومتنكر لها كافر بها، فالجاحد لهدي النبي الأمين هاجمه، وأظهر الخوف على القيم الجاهلية التي تحفظ امتيازاته، والمصدق لمؤمن توجه بالمدح إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم².

إن الدارس لشعر المدح في الأندلس يرى أن معظمه موجه إلى أمراء الأندلس وأن له جانبان من حيث المضمون :

جانب يريك الصفات التقليدية التي يطيب للعربي أن يوصف بها كصفات المروءة والوفاء والكرم... الخ

أما الجانب الآخر فيدور حول انتصارات الممدوحين ومعاركهم الحربية.³

و كان مديح العرب في عصورهم الأولى فخرا كله ، لأن أساس الطبيعة البدوية فضيلة الاعتماد على النفس.⁴

إن المدح عرفه العرب قبل مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أما المدائح النبوية فقد ارتبطت بشخصية الرسول . وأول من مدحه عمه عبد المطلب

1 - عمر فروخ تاريخ الادب العربي دار العلم للملايين بيروت ج1 ص83

2-حميدة سعاد، المديح الديني في الشعر الشعبي الجزائري في تبسة و أحمد بن سعد أنموذجا، المركز الجامعي، ميله، الجزائر، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب، العدد الثامن، 2015، ص ص 209، 210.

3-ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،ج2، دار الجبل ،بيروت ،ط5، 1981،ص:68.

4-عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ص183 .

لم يتخذ غرض المدح صيغة التكسب أو منفعة مادية كما صار عليه فيما بعد و معناها أكده ابن رشيقي " و كانت العرب لا تتكسب بالشعر و إنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر وإعظاما لها " ¹.

ثم يبين ابن رشيقي أن هناك بعض الاستثناءات فيما بعد يقول " حتى نشأ النابغة الذبياني فمدح الملوك وقيل العطية على الشعر وخضع "للنعمان بن المنذر " و كان قادرا على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من سار إليه من ملوك " غسان " فسقطت منزلته و تكسب مالا جسيما حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيهِ من عطاء الملوك و تكسب " زهير بن أبي سلمى " بالشعر يسيرا مع " هرم بن سنان " فلما جاء " الأعشى " جعل الشعر متجسدا يتجه به نحو البلدان و قصد حتى ملك العجم فأتى به وأجزل عطيته « ².

وكان المديح من أقوى فنون الشعر العربي في العصرين الأموي و العباسي ذلك أن الحكام كانوا يتنافسون في ترغيب الشعراء بالعطايا لأن الناس جميعا كانوا يفهمون الشعر فكان الشعر يذيع و ينتقل من قبيلة إلى قبيلة ³.

كان العرب قديما يعتمدون على غرض الفخر باعتباره المناسب لأشعارهم ولإبراز مكائهم حتى طغى المدح على جل الأغراض و أصبح الفن الشعري الأكثر انتشارا عبر العصور في جميع المجالات كالحروب و المعارك و حتى أنه أعتبر وسيلة للتكسب لدى بعض الشعراء.

-تعريف المديح النبويّ :

هو عبارة عن الشعر الذي يهتم بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ،بتعداد صفاته الخلقية، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارته والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته ،مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته شعرا والإشادة بغزواته وصفاته والصلاة عليه تقديرا وتعظيما ⁴.

¹-ابن رشيقي القيرواني :العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ،ج1،ص49.

²-المرجع نفسه ،ص49 .

³-عبد الرحمان عبد الحميد على الأدب في العصر الإسلامي والأموي ،دار الكتاب الحديث القاهرة ،ص243.

⁴-دكتور بدر عبد الحميد هميسة، أجمل الأشعار في مدح النبي المختار عليه الصلاة و سلام ،1432هـ/2011م ،ص2

و قد يبرز الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر تقصيره في أداء واجباته الدينية، ويذكر ذنوبه، مناجيا الله بصدق وخوف، مستعظفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة. طامعا في شفاعته عند الله يوم القيامة. وفي الغالب يتداخل المديح النبوي، في الغالب، مع قصائد الزهد والتصوف.

و قد عرّف الدكتور زكي مبارك، وهو من أشهر الباحثين في هذا الموضوع، المدائح النبوية بقوله:

" فنّ من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص.¹"

وبلغ بذلك منتهى المديح العربي القديم، إذ جمع الكرم والعفو والتسامح والشجاعة والوقار والسيادة ...

تم انبرى حسان بن ثابت شاعر الرسول يدافع عن النبي وعن دعوته الجديدة، فإذا رسالته هدى للناس وإذا النبي هو الكمال المجسم والخلق المضيف ودالك في قوله :

- خلقت مبرأ من كل عيب. كأنك قد خلقت كما تشاء .

و هذا المديح لا فرق بينه وبين المدح التكميلي، الذي يوجّه الشعراء المكتسبون إلى السلاطين والأمرء وغيرهم؛ فهذا المدح يوجّه إلى أفضل خلق الله، محمد - صلى الله عليه وسلم-، ويطبّعه الصدق والمحبة والوفاء .

- ظهور المديح النبوي :

يقول الدكتور الحسين النور. (ولقد نشأ شعر المديح النبوي مند نشأته وميلاده ووجوده صلى الله عليه وسلم في هذا الكون ولقد بدأ من الخالق جل وعلا حينما خاطب نبيه في القرآن المجيد قال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4] وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]. وقد ثبت في الحديث الشريف عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت. (كان خلقه القرآن) فهذه الإشارة وأمثالها في القرآن

²-ينظر: المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1935، ص17.

الكريم تزيد فضل النبي الكريم ولهذا اقتداء بالكتاب ذهب العلماء ذلك المذهب في توفرهم على مدحه¹

نشأ المديح في مولد النبي عليه الصلاة والسلام فكان النبي هو المثل الأعلى عندهم. ظهر المديح النبوي في الشعر العربي في زمن مبكر، و شاع مع انطلاق الدعوة الإسلامية، وازدهر وتطور إلى أن ارتبط بالشعر الصوفي، مع عمر بن الفارض وغيره من شعراء التصوف.

و لهذا يختلف مؤرخو الأدب في بداية ظهور المديح النبوي؛ فمنهم من يذهب إلى أنه فن قديم ظهر مع الدعوة الإسلامية، ومنهم من يذهب إلى أنه فن مستحدث لم يظهر إلا في القرن السابع الهجري مع الشاعر شرف الدين البوصيري².

و إذا عدنا للقول الثاني، أمكن أن نقول: إن أول ما قيل من شعر في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- هو ما قاله جده عبد المطلب بن هاشم عندما وُلد له. وفي ذلك الشعر يشبهه حفيده بالنور الذي أضاء الكون.

و من النماذج الأولى للمديح النبوي قصيدة "طلع البدر علينا"، وقصائد حسّان بن ثابت وغيره من شعراء الرسول -صلى الله عليه وسلم- .

و إذا ألقينا نظرة على تاريخ الأدب المغربي وجدنا أن الشعراء المغاربة كانوا ينظمون كثيرا من قصائد المديح النبوي لا سيّما في ذكرى مولده -صلى الله عليه وسلم-، تلك الذكرى التي كانوا يحتفلون لها كثيرا.

¹-دكتور الحسين النور يوسف، من شعر المديح النبوي، مطبعة جامعة الخرطوم، ط1، الخرطوم، 3.11.1995م، ص12.

²-عبّاس الجراي، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1982، ص141.

ومن أهم الشعراء المغاربة الذين اشتهروا بالمديح النبوي: "مالك بن المرحل"، وله قصيدة ميمية مشهورة يعارض فيها قصيدة البوصيري، "البردة"¹.

ومنهم: "عبد العزيز الفشتالي" الذي يقول من قصيدة في مدح الرسول (ص):

محمد خير العالمين بأسرها وسيد أهل الأرض من الإنس والجان.²

مراحل المدائح النبوية: مرّ المديح النبوي بفترتين: ما قيل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما قيل بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

- ما قيل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أول ما ظهر كإرهاص لشعر المديح النبوي ما قاله عبد المطلب إبان ولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم، إذ شبه ولادته بالنور والإشراق الوهاج الذي أثار الكون سعادة وحبورا، يقول عبد المطلب³

وَأَنْتَ لِمَا وُلِدْتَ أَشْرَقْتَ. الْأَرْضُ وَضَاءٌ بِبُورِكَ الْأُفُقِ

فَنَحْنُ فَبِذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي. النُّورِ وَسُبُلِ الرِّشَادِ نَحْتَرِقُ

و كذلك ما نسب إلى عمه أبي طالب في قوله:⁴

فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ آيُّ مَوْمِلٍ إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّقَاضِلِ

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ يُوَالِي إِهْلًا لَيْسَ عَنْهُ بِعَافِلٍ

ولقد كان أول من مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الفترة من الشعراء العرب

¹- ينظر: الإحاطة، في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1975، ج 3، ص 314.

²- ينظر: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، محمد بن تاويت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 1982، ج 1، ص 339.

³- عباس الجراري، المرجع السابق، ص: 142.

⁴- يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1417 هـ، 1996 م، ج 1، ص 53.

الأعشى الذي نظم قصيدته الدالية مثنيًا فيها على كرم رسول الله بقوله في مطلعها:

أَلَمْ تَعْمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةً أَرْمَدَا . وَعَادَكَمَا عَادَا السَّلِيمُ مَسْهَدَا .
 وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ حُلَّةَ مَهْدَدَ .
 وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ حَائِرٌ إِذَا أَصْلَحْتُ كَفَّاهُ عَادَ فَأَفْسَدَا
 كُهُولًا وَ شَبَابًا فَقَدْتُ . وَ ثَرْوَةً هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
 وَمَا زِلْتُ أَبْغِي المَالَ مُذْ أَنَا يَا فَعْ وَلَيْدًا وَكَهْلًا حِينَ شَبْتُ وَأَمْرَدًا¹

الواقع فيما أرى أنّ قصيدة الأعشى هذه ليست من المدائح النبوية لأنها خالية تماما من العاطفة الدينية ولأن الشاعر لم يقل هذا الشعر وهو صادق النية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل على ذلك أنه أحجم عن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم عندما صرفه أبو سفيان وعرض عليه المال وأغراه بمائة من الإبل، شريطة أن لا يعود حتى يروا ماذا سوف تؤول به الهدنة التي هم عليها والتي يسعون من ورائها إلى التغلب على النبي الكريم، فإن كان لهم ذلك فعلى الأعشى أن يبقى في دياره و إن تغلب عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فعليه بملاقاته، فأخذها وانطلق إلى بلده فلما كان بقاع «منفوخة» رمى به بعيه فقتلته.²

قال المقرئ: "ولم تزل الشعراء من ذلك الوقت إلى الآن ينسجون على منوالها، ويقتدون بأقوالها، تبركا بمن أنشدت بين يديه، ونسب مدحها إليه"³

إن شعراء العرب ينسجون القصيدة مثل قصيدة الأعشى، وينسجون مدحهم للرسول صلى الله عليه وسلم من أجل رضاه ورضا خالقه.

²-الأعشى: ميمون بن قيس، الديوان، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2، 1993، ص49.

¹-ينظر بتصرف محمد الحضري، مذهب الأغاني، مطبعة المعارف، القاهرة، مصر، ج1، دط، دت، ص: 163

¹ - محمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، 1968، ج2، ص189.

ولحسان بن ثابت - رضي الله عنه - شعر جيد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى لقب بشاعر الرسول وذلك لكثرة ما قاله في مدحه والدِّفاع عنه صلى الله عليه وسلم . ومن أروع ما قال قصيدته « الهمزيتة » الرائعة التي يمدح فيها خير الأنام ويهجو أبي سفيان¹

وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ

شَهِدْتُ بِهِ وَقَوْمِي صَدَّقُوهُ فَقُلْتُمْ مَا نُجِيبُ وَمَا نَشَاءُ

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَحْبَ هَوَاءِ

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّكُمْ لِحَيْرِكُمْمَا الْفِدَاءِ

هَجَوْتَ مَبَارِكًا بَرَا حَنِيفًا أَمِينُ اللَّهِ شِيَمَتُهُ الْوَفَاءِ

مَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَمَدْحُهُ وَيَصْرُهُ سَوَاءِ

وقال أيضا:²

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرْقُطْ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِفْتَ مَبْرَأًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِفْتَ كَمَا تَنْشَاءُ

هذان البيتان من أجمل ما قيل في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و لما كان الجمال من حيث هو محبوبا للنفوس معظما في القلوب لم يبعث الله نبيا إلا وكان جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت، كما قال علي بن أبي طالب وقد سئل : أكان رسول الله صلى الله عليه

¹- إبراهيم شمس الدين ، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار الصبح، بيروت ، لبنان، ط1
1428هـ/2008م، ص: 43-44.

³-إبراهيم شمس الدين، المرجع نفسه ، ص: 45.

وسلم مثلاً لسيف؟ قال : لا بل مثل القمر. وفي صفته صلى الله عليه وسلم: كأنَّ الشمس تجري في وجهه.¹

ومن مثل هذه القصائد كانت الإرهاصات الأولى لذيوع المدائح النبوية في الأدب العربي.

– ما قيل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:

معظم قصائد المديح النبوية قيلت بعد و وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما يقال بعد الوفاة يسمى الرثاء وفي الرسول بالمديح ، لأنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم لم يمت في قلوب المسلمين والمؤمنين ؛ بل هو حيٌّ بحبهم له والافتداء بسيرته والسَّير على خطاه ، متمنين بذلك الفوز برؤيته في الآخرة، ولذلك نجد الشعراء يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء، وإنَّ المراد بتلك القصائد هو التشفع به والتقرب إلى الله تعالى ونشر الدِّين الإسلامي والإشادة به صلى الله عليه وسلم، "بينما قصائد الرثاء تبنى على التفجع والحزن والبكاء ، وللشاعر حسان بن ثابت ثلاث قصائد مرثية في الرسول الأكرم ، متكلم عن المنبر والمصلى والمسجد والوحي ... و يذكر بكاء الأرض والسموات و التشوق إلى لقائه في الجنة وما ورثه المسلمون من الرشد والهدى والأخلاق"،²

فبذلك الشعر يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم كأنه موجود معهم في الحياة ولم يمت من كثرة تأثرهم به وشوقهم له .

وتعد داليتها من أكثر القصائد تأثيراً في نفوس المسلمين ، وهي قصيدة حزينة مبكية مؤثرة

مطلعها :³

مَا بَأْلُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا كُجِلَتْ مَاقِيهَا بِكُحْلِ الْأُرْمَدِ

²-إبراهيم شمس الدين، ص: 45.

¹-عمر إبراهيم توفيق ، فنية شعر المدح النبوي في الأندلس، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العدد 15، 2010، ص5،

²-إبراهيم شمس الدين، المرجع السابق ، ص ص79-81.

جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًّا يا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدِ

وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْعَرْدَقِ

إلى أن يقول في الأخر القصيدة:

وَاللَّهِ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ أَنْصَارُهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ

صَلَى الْإِلَهِ وَمَنْ يَخْلَفُ بَعْرَشِهِ وَالطَّيْبُونَ عَلَى الْمُبَارِكِ أَحْمَدِ

قال بعض العلماء أن سبب عدم مدح البعض من مشاهير الشعراء كالمتنبي وأبي تمام والبحري للنبي صلى الله عليه وسلم، أنهم عاجزون عما يليق به صلى الله عليه وسلم من المدح فتزكوا مدحه أدبا معه.¹

ومن هنا كانت نظرة الشعراء الذين مدحو النبي صلى الله عليه وسلم حبا وله ولرضاه ورضا الله عز وجل والتقرب منه، وبعض العلماء عجزوا عن التعبير فيه لأنهم لا يعرفون مدى حقيقته وفضائله فلا يستطيعون وصفها .

ثانيا : مراحل تطور المدح

1 - شعر المديح في العصر الجاهلي :

إن المدح في الجاهلية له مكانة عالية ، فقد كان الشاعر في هذا العصر يحظى بمكانة عظيمة في قبيلته لأنه لسان حالها والمعبر عن مفاخرها و الزاب بشعره عن عزتها وكرامتها ، و كان لا يندفع إلى ذلك بغرض المال و التكسب بل إعجابا و افتخارا بأخلاق نبيلة كالمروءة و الشجاعة و العفة والصدق، وهذا ما اهتم به في العصر الجاهلي . يلخص شوقي ضيف قوله في « إن الشعراء الجاهليين كان عندهم مديح واسع ، يمتدحون فيه مناقب قبائلهم و ساداتها و كانوا

¹-المجموعة نهائية في المدائح النبوية ، دار الفكر ، بيروت ، ج1، ص 17.

كثيرا ما يمدحون القبيلة التي (يجدون فيها كرم الجوار متحدثين عن عزتها و حالها و شجاعة أبنائها»¹.

فالشاعر في الجاهلية كان يمدح القيم العالية و يقدم ممدوحة من خلال صور فنية محددة لا يخرج عليها من فرض أشكال معينة لا يقر النقد الخروج على مقوماتها و تقاليدها ، وكان الشاعر الجاهلي مضطر كغيره من البدو إلى الترحل و النزول ضيفا و له أن يشكر سادته على المعروف و قد مدح " امرئ القيس بن حجر " القبائل المضيفة له بعد مقتل أبيه فقال في " المعلى التيمي " الذي أجاره من " المنذر بن ماء السماء " .

أقر حشا إمرئ القيس بن حجر بنو تميم مصابيح الظلام.²

وفي الشعر الجاهلي ضربان من القصائد قصائد قصار و معلقات تتناول موضوعا واحدا إما مدحا أو رثاء و في هذا الشأن يقول حازم القرطاجي « و القصائد منها بسيطة الأغراض و منها مركبة، و البسيطة مثل التي تكون مدحا صرفا ، و المركبة هي التي يشمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون رثاء مشتملة على نسيب أو مديح و هذا أشد موافقة للنفوس الصحيحة الأذواق لما ذكرناه من ولع النفوس بالافتنان بأنحاء الكلام و أنواع القصائد »³.

2- في صدر الإسلام:

إن قصيدة المديح في صدر الإسلام قد بنيت على منوال مدائح الجاهليين حيث أنها استمدت عناصرها الفنية من المدحة الجاهلية من حيث الشكل والمضمون إلا أنها أضيفت لها خيوط جديدة ونسجت في ثوبها لتضفي عليها الجودة والتجديد. بمجيء الإسلام خفت الشعر عامة. باستثناء شعر الكافرين الذين يناهضون الرسول صلى الله عليه وسلم مما دفع بالرسول صلى الله عليه وسلم للذود عن شخصه وعن الدين الجديد. فقد رفض النبي أن يمدحه الشعراء

¹ - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط6، 1960 ص210.

² - بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار مارون عبود، ط1، 1986، ص46.

³ - أبو الحسن حازم القرطاجي: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحسن بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1981، ص303.

إلا بما اتصف به ويدعو الناس إلى اعتناق الدين القويم والتحلي بالخصال والفضائل التي تخدم الدين والرسالة التي أتى من أجلها « فالمديح مقبول، برأي النبي، مادام صادقا ويرمي إلى غاية سامية، ومادام لا ينجم عنه إلا الخير. أما إذا تحول إلى نفاق فأقل ما يستحقه المداح هو أن يحثى في وجهه التراب، وقد تدهورت منزلة المديح منذ بدءا الإسلام نتيجة لتلك التطورات»¹.

فالشاعر أرفع منزلة من الخطيب في أول الأمر وهذا لحاجتهم إلى الشعر لتخليد المآثر فلما تكسبوا به وتناولوا به الأعراس صارت الخطابة فوقه. وهكذا كان الشاعر المتكسب محتقرا في عهد النبي والخلفاء الراشدين، فكان عمر بن الخطاب لا يكثر بالمديح، وقد صرف همه إلى تركيز الوحدة القومية والخروج بها وبالدين إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية، وكان علي بن أبي طالب لا يرضى التزلف الذي يأتيه الشعراء في مدائحهم»²

فالخلفاء الراشدون يؤكدون على قيمة الشعر ويرونه أفضل من المال، وأهم ما تميزت به قصيدة المديح في صدر الإسلام هو الابتعاد تماما عن كل ما حرمه الدين الإسلامي والاقتراب من كل ما يخدم الدين الحنيف، واتسمت كذلك قصيدة المديح بطابع الدين حيث اتجه الشاعر في صدر الإسلام إلى مدح الأشخاص وتميزت أشعاره بروح إسلامية وإيمانية عالية كما أنها دلت على ارتباطهم الروحي بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث تخلوا عن الكذب والتزويق في العبارات لأنهم كانوا يتبعون قيم الدين الإسلامي .

- في العصر الأموي:

أما العصر الأموي فاختلفت فيه طبيعة الحياة عن صدر الإسلام فانعكس ذلك على قصيدة المديح، وما نلاحظه في العصر الأموي أنه لم يخل هو الآخر من قصائد المديح التي جاءت معظمها بهدف العطاء والهبة على حد قول الدكتور وهب رومية " فأدرك الخلفاء الأمويون دور

²-إميل ناصيف. أروع ما قيل في المديح، دار الجيل، بيروت، ص 15.

³-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الشعر في حياة العرب وحاجة الشعراء إلى المال، فراحوا يشترون منهم المديح، ويذيعونه في الناس لتأييد سلطانهم فكثرت قصائد المدح وانتشرت.¹

وتميزت الحياة السياسية بالانقسامات الحزبية، فنشأت أحزاب ظلت تتصارع بالسيف وبالكلمة ردحاً من الزمن، وكان لكل حزب شعراء انحازوا إليه ينطقون باسمه ويمدحون زعماءه ويروجون لسياسته فقد أثرت هذه الظروف على الحياة الأدبية وبالأخص على الشعر، ومن ثم بلغ تأثيرها فن المديح النبوي الذي تشبع بروح العصر الذي شهد حرباً شرسة نشبت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - انتهت بحادثة مقتل علي كرم الله وجهه. ولعل الخليفة الأول "معاوية بن أبي سفيان" هو الذي سنّ لمن جاء بعده هذه السنة التي أصبحت تقليداً سار عليه الخلفاء الأمويون، وقد أشار إلى ذلك "يوسف خلف" بقوله: « ولم يكد يستقيم الأمر لمعاوية حتى أصبحت دمشق حاضرة الدولة الجديدة وظهر القصر لأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية ومع ظهور القصر الأموي ظهر الشعراء الذين التفوا حوله يمدحون خلفاءه وأمرائه طلباً لعطاياهم وجوائزهم»⁽²⁾.

وهذا يعني أن خلفاء بني أمية اتخذوا من المديح وسيلة دعائية لسلطانهم ولإرساء املاكهم وكل قائد من هذه الأحزاب يطلع على أن يكون الأفضل في شعره، ولكن خلفاء بني أمية لم يرق لهم مدح آل البيت الذين هم خصوم لهم في منازعتهم الخلافة كما أشار إلى ذلك زكي مبارك في قوله: قلة ما كانت تروق خلفاء بني أمية، وكيف تروقه وهي تركية لخصومهم أولئك الخلفاء، إن أقوى حجة عند خصوم بني أمية كانت قرابتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم فلا بد أن يكون مدح الرسول تنويهاً بشأن أولئك المعارضين³

- في العصر العباسي:

¹ - ينظر: وهب رومية قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981، ص 319.

⁽²⁾ - يوسف خليف: تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي، دار الثقافة، القاهرة، ص 134.

² - زكي مبارك، المدائح النبوية، في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط 1، 1935، ص 56.

لقد تبوأ شعر المديح مكانة رائعة في الشعر العربي مع بداية العصر العباسي فقد أصبحت سائر الأبواب تبدو إلى جانبه صغيرة «فقد تفرقت الدولة الإسلامية شيعة، وتقاسم الملوك مناطق العالم الإسلامي، فازدادت موارد الرزق عند شعراء المديح وأصبح هم كل شاعر أن يسافر إلى أمير يكفيه، أو قائد يحميه. فرأينا أسماء بعض الشعراء تقترن بأسماء بعض الخلفاء والأمراء ، من ذلك المنتبي وسيف الدولة، أبو تمام والمعتصم، البحتري والمتوكل...»¹.

وقد رأى بعض الدارسين ان هدف الشاعر العباسي من وراء المديح هو « تجسيد الفضائل الإسلامية وبذلك ظلت المدحة تبث في الأمة التربية الخلقية القويمة حافزة لها على الفضائل والمكارم الرشيدة، والذي لا ريب فيه أنها تحمل خصالنا وخصائصنا النفسية وقد أشعل الشعراء العباسيون جذوتها في النفوس بما رقدوها من عقولهم الخصبه وأخيلتهم البارعة»⁽²⁾.

فالتكسب بلغ أشده في ذلك العصر. وبلغ في افتتاح أمره، حيث أن الجاحظ حذر الناس من الوقوع في شرك المكتسبين. فقصائد المديح متشابهة تبدأ بالنسيب ثم تذكر الطرق التي سلكها الشاعر لبلوغ الممدوح والصعوبات التي اعترضته، والنوق التي أقلته حتى وصوله إلى ممدوحه .

وبالتالي ظل المديح آخذاً بمقدمة الشعر العربي حتى ضيع عليها الكثير من المعاني الإنسانية وصرفه عن مواطن فنية كان قادراً على اكتشافها والإبداع فيها .

- بعد العصر العباسي:

بانتهاء المسلمين إلى الأندلس انتقل المديح إليها وأخذ الشعراء يقلدون أساليب المشاركة. والذي ساعد على ازدهار شعر المديح هو ما حصل من تفرق الدويلات في عهد ملوك الطوائف. وتنافس الأمراء على احتضان أرباب الشعر والكلمة. «أما في عصر الانحطاط فقد انكب الشعراء على القديم وعادوا يكررونه دون تبديل في صوره ومعانيه حتى سقط الشعر على أيديهم كما سقط العالم السياسي للمسلمين في ظلمات داجية»³

¹ - إيميل ناصيف، المرجع السابق، ص: 17 .

⁽²⁾ _ ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ط8 دار المعارف، القاهرة، 1966 ص160.

³ - إيميل ناصيف، المرجع السابق، ص17.

وفي القرن العشرين عادت جذوة المدح إلى النفوس، ففي مصر نشأ شعراء الملوك والخلفاء يتجهون حيناً إلى قصور الآستانة وآخر إلى قصور القاهرة.

-المدح في العصر الأندلسي:

انتقل المدح إلى الأندلس بانتقال العرب إليها، فراح الشعراء يقلدون المشاركة، ويسيرون وفق منهجهم وطريقتهم في المدح، إلا أن المدح في أرض الأندلس تطور، وما ساعد على ذلك «طبيعة بلاد الأندلس وما فيها من مناظر طبيعية من أنهار وجبال ومروج، وقصور شاهقة، فكل ذلك أكسب المشاعر انطلاقا، والوجدان لطفًا، والمعاني دقة والألفاظ جمالا وروعة»¹.

رغم كل مامر به شعراء الانلس الا انهم , كانوا يسيرون وفق منهجيتهم في طريقت مدحهم في بلاد الاندلس

وقد اتخذت قصائد المدح في موضوعاتها قيما أربعا كان أولها: قيما اجتماعية، تُعنى بالأخلاق الكريمة والصفات المحمودة التي توارثها الناس من وحي مجتمعه العربي، وثانيها: قيما سياسية، تمثلت فيالمعارك التي دارت في الأندلس فقد شكلت رافدا أساسيا لها، وثالثها: قيما دينية، تمثلت في الإشادة بالخلق الديني والسير على منهج الله تعالى، ورابعها قيما ذاتية تعبر عن هموم الفرد التي ييشها إلى شخص الممدوح القادر على تخليصه منها².

والملاحظ على مدائح الأندلسيين أنهم يحشدون لها ويتأنقون في صياغتها الفنية غاية التأنق، ويجعلون أساليبها بين الجزالة والفخامة والرقة والسهولة طبقا لما تقترحه عليهم طبيعة المعاني. أما عن طرائقهم في بناء قصائد المدح فإنها تختلف من شاعر لآخر فمنهم من يبني قصيدته على موضوع المدح وحده، فيدخل فيه من غير مقدمات ومنهم من يبينها على موضوعين، فيستهلها مثلا بالغزل أو وصف الطبيعة أو الخمر أو الشكوى، أو العتاب ثم يخرج إلى المدح، ومنهم من يبينها على ثلاثة موضوعات، فيستهلها باثنين من الموضوعات السابقة حتى إذا بلغ غايته منها

¹ _ مصطفى السيوي: تاريخ الأدب الأندلسي، ط1، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة 2008، ص311.

² _ ينظر: أشرف نجا: قصيدة المدح في الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2003،

انتقل إلى المدح، فالشاعر الأندلسي ليس مبتدعا في طريقة بناء قصيدة المدح على هذا النحو وإنما هو يجري في ذلك على سنن الأقدمين، فقد كان من تقاليد قصيدة المدح عندهم أن تبنى على مقدمة طليله، فنسيب، فوصف رحلة، ثم تخلص للمدح بعد ذلك. ومن المدائح التي بنيت على المدح فقط قول "ابن حميس" في مدح الأمير "أبي الحسن بن علي بن يحيى"¹:

لِقِطَافِ هَامٍ وَاخْتِلَاءِ هَوَادِي	تُفْشِي يَدَاكَ سِرَائِرَ الْأَعْمَادِ
لِلَّهِ مِنْ غَزْوٍ لَهُ وَجْهَادِ	إِلَّا عَلَى غَزْوٍ يَبِيدُ بِهِ الْعَدَى
إِلَّا بِسَيْفِكَ يَوْمَ كُلِّ جَلَادِ	مَا صَوَّنَ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ ضَيْمِهِ
وَقِرَاعِ أَبْطَالٍ وَكَرٍّ جِيَادِ.	وَطُلُوعِ رَايَاتٍ وَقَوْدِ جِحَافِ

ونجد "ابن هاني الأندلسي" الذي كان من أشهر شعراء الأندلس يمدح "إبراهيم بن جعفر بن علي" فيقول²:

فَرَأَيْنَا فِيهَا مَشَابِهَ مِنْكَ	قَدْ مَرَزْنَا عَلَى مَعَانِيكَ تَلِكِ
بَأَجْرَاعِهَا فَلَمْ نَسَلْ عَنْكَ	عَارِضَتْنَا الْمَهَا الْخَوَازِلُ أَسْرَابًا
فَلَقَدْ أَشْبَهْتَكِ إِنْ لَمْ كُنْكَ	لَا يُرْعِ لِلْمَهَا بَدَارِكِ سِرْبُ
يَوْمَ أَبْكَى عَلَى الدَّيَارِ وَتَبْكَى	مُسْعِدِي عُجْ فَقَدْ رَأَيْتَ مَعَاجِي
وَتَشَكُّ مُرَدِّدٍ كَتَشَكِّي	بِحَنِينٍ مُرْجَعٍ كَحَنِينِي
ثُمَّ لَا تَسْفِكِ الدَّمَاءَ كَسَفْكِ	فَاتَّقِدْ تَسْكِبِ الدَّمُوعِ كَسْكِبِي

وهو نموذج قدم للمدح فيه بالغزل أولا ثم تطرق صاحبه إلى المدح كغرض رئيس ومن مثل قول "ابن هاني" قول "ابن زيدون" أيضا الذي نجده يبدأ بالغزل يهنئ "أبا الوليد بن جهور

¹ - ابن حمديس: الديوان، تصحيح وتعليق: إحسان عباس (دط)، دار صادر، بيروت، 1960، ص 145.

² - ابن هاني الأندلسي: الديوان: تحقيق كرم البستاني (دط)، مكتبة صادر، بيروت، 1952، ص 526.

"بولاية الحكم: يقول¹:"

ما للدمام تديرها عينك	فيميل في سكر الصبا عطفك
هالاً مزجت لعاشقي سلافها	برود ظلمك أو بعذب لماك
بشراك يا دنيا وبشر انامعاً	هذا الوزير أبو الوليد فتاك
نادى مساعيه الزمان منافساً	أحرزت كل فضيلة فكفاك

والمتمعن في مدائح الأندلسيين يجد أغلبها موجهاً إلى أمراء الأندلس وحكامها وخلفائها وذوي النفوذ ليحصلوا منهم على الجزاء والمغانم، فكانوا يصفون الممدوح بالشجاعة والمروءة والوفاء والكرم، وما أشبه ذلك من معاني الشرف والنبيل التي يسبغها الشاعر على ممدوحه. فنجد الشاعر "يحيى بن الحكم" المعروف "بالغزال" يقول للأمير "عبد الرحمان بن الحكم" وهو في السجن مادحاً ومستعظفاً إياه²:

مَنْ مُبْلِغِ عَنِّي إِمَامِ الْمَهْدِيِّ	الوارث المجدِّ أباً عن أبٍ
أَيُّ إِذَا أَطْنَبَ مُدَاخَهُ	قَصَّدْتُ فِي الْقَوْلِ فَلَمْ أَطْنَبِ
لَا فِكْ عَنِّي اللَّهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ	أَذَكَّرْتَنَا مِنْ عَمْرِ الطَّيِّبِ
وَأَصْبَحَ الْمَشْرِقِ مِنْ شَوْقِهِ	إِلَيْكَ قَدْ حَنَّ إِلَى الْمَغْرَبِ.

وهكذا نرى الشاعر ذكياً حذقاً لبقاً في الخروج من المأزق بما لديه من شاعرية وقدرة عرصوغ الكلام الأخذ النافذ إلى الممدوح ممجداً إياه بمجد الأسلاف الذي يمتد من المغرب إلى المشرق، وبذلك نال المكانة المرموقة، فقد أفرج عنه الأمير وأجازه. وهكذا لاحظنا مسيرة تطور فن المديح النبوي عبر العصور المذكورة بدءاً بعهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حيث مدحه الصحابة بقصائد أضحت مثلاً يحتذى للشعراء فيما بعد ثم العصر الراشدي والأموي تم العصر العباسي .

¹ ابن زيدون، الديوان ورسائله: تحقيق علي عبد العظيم (دط) مكتبة النهضة، مصر، 1957، ص 943.

² عمر بن حسن بن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب: تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، دار العلم للجميع، بيروت ص 133.

_ مضامين المدائح النبوية:

إن مضامين ومعاني الأشعار التي قيلت في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- قد تناولت موضوعات متنوعة و على طرائق مختلفة" فهناك من الشعراء من مدحوه بصورة تقليدية مثلما جرت عليه العادة في مدح ساداتهم ، وبعضهم مدحوا دينيا لمكانته السامة التي لا يدانيه فيها أحد و بعضهم مدحوه مدحا خلقيا و بعضهم أظهر أثره في البشرية و بعضهم حرص على إظهار مناقبة و معجزاته وبيان مواطن العظمة في سيرتها، و نظم آخرون قصائد يتشوقون فيها إلى زيارة مقامه الكريم و بعضهم نظموا قصائد يتبركون بأثاره الكريمة¹

ورغم ذلك فإن هذه القصائد تتصل ببعضها اتصالا وثيقا لأنها تدور حول موضوع واحد ألا وهو النبي الكريم-صلى الله عليه وسلم- و من أهم المضامين الشعرية التي وردت في أشعارهم:

-صفات الرسول صلى الله عليه وسلم و خلقه: لغرض الاقتداء به والتبرك بنوره، وهو المثل الأعلى في كل شؤون الحياة ومفاصلها وجعله الله قدوة للإنسانية قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" فهو المعلم الناصح والأ نموذج الرائع للإنسان الداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لذلك لا يمكن حصر مناقبه، فحياته كلها مناقب وعبر².

إن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم احتلت حيزا كبيرا فهي تعتبر من الموضوعات الرئيسة في المديح النبوي حيث أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد مدح بخلق و أصله و مجده، و لقد حرص الشعراء على ذكر الصفات و في هذا الصدد قال عبد الحق بن عطية:

رؤوف رَحِيمٌ حَصَّهُ اللهُ بِالسِّبِّهِ و أَعْظَمَ لَاحٍ فِي الثَّنَاءِ وَ عَاقِبُ
وَشَرَّفَهُ أَصْلًا وَ فَرْعًا وَ مُخًّ تَدَا. يُزَاحِمُ أَفَاقَ السُّهَى بِأَلْمِ نَاكِبُ

¹ -فاطمة عمراني: المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، ص153.

² -فنية اشعر المدح النبوي في الأندلس، عمر إبراهيم توفيق، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، كلية التربية، العدد 1/المجلد 5/السنة الجامعية 2010. ص21.

سراج الهدى ذو الجاه المجدي والعلى
وخيّر الورى الهادي الكريم المناسِب¹

ففي هذا النوع هم الشعراء ذكر فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم و التغني بها، ولقد وجدوا أنفسهم أمام بحر من الفضائل والمكرمات، فحاولوا أن يوضحوا خصائصه وميزاته وبينوا عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم وما تركه من خير و رحمة لأُمَّته.

-الشوق لزيارة أرضه الطيبة :

موضوع قديم متجدد، متعلق بفريضة أداء الحج وشعر الاستنجاد وماحل بالنفس من بلاء وسقم ...، وبالأندلس من الويلات والحروب وما يشعر به من الشوق والهيام في زيارة ضريح الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن التي شهدت مهد الرسالة، وهي قصائد يلعب العامل النفسي دورا رئيسيا في صياغتها ولأبي جنان الأنصاري قصيدة يناجي الركب ويعرض ما حل بمدينته "مرسية" بعد سقوطها بيد الإفرنج سنة 641_ 641 للهجرة قوله :

يحاذي الركب قف الله يحاذي
وارحم صباية ذي نأي وابعاد

ما ينبغي عنك إلا أن تصيغ له.
معا ليسأل عمن حل بالوادي².

وفي قول ابن سهل الأندلسي في وصف الحجيج قائلا :

وركبت دعتهم نحو يثرب نية.
فما وجدت إلا مطيعا وسامعا³.

- الحب و المحبة:

ومن المضامين التي نجد لها في كثير من المديح النبوي هو حب الرسول-صلى الله عليه وسلم- و أوجب هذه المحبة الإيمان القوي لدى الإنسان وأظهر ذلك من خلال مدّاحي النبي

¹ -لسان الدين الخطيب، المرجع السابق، ص5

² -عمر ابراهيم توفيق،، فنية شعر المدح النبوي في الأندلس، مجلة جامعة كركوك، ص19.

³ -ديوان ابن سهل الأندلسي، مرجع سابق، ص53.

—صلى الله عليه وسلم— في محبتهم للرسول، و تشوقهم لزيارته وحينهم إلى القرب منه تجسد ذلك في أشعار "ابن جنان" حيث يقول:

فَمَالِي لَا مَالِي سِوَى حُبِّ أَحْمَدٍ وصلت له قرب قلبي وشائجا .

ولو أنصفت أجفته حق وجده سفكت دماء لدموع موازجا .¹

ويوجد الكثير كغيرهم من الشعراء يعبرون عن مدى شوقهم فهذا الشوق و الحب الذي يديه شعراء المدائح النبوية هو شعور ديني ليظهروا مدى تعلقهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته عندهم.

— رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام :

قال الرسول الأعظم "من رآني في المنام، فكأنما رآني في اليقظة فإن الشيطان لا يمثل لي"

وقال "من رآني في النوم، فقد رآني، لأنه لا ينبغي للشيطان أن يمثل صورتي"

ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام بشرى طيبة من الله تعالى بحسن حال الفرد وصلاح أمر دنياه وآخرته ومبتغى كل مسلم للتبرك به، وهو أقرب الخلق إلى المؤمن يوم المحن، وقد روى البوصيري أنه نظم قصيدته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، واستشفع إلى الله أن يعافيه، وكرر الإنشاد بالقصيدة إلى أن نام، فرأى في منامه الرسول صلى الله عليه وسلم، وانشد له القصيدة فمسح وجهه بيده...²

— الصلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم— : إن الصلاة على النبي من أصدق الأمور بموضوع المدح النبوي، و لقد حث الله بالصلاة على نبيه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب 56].¹ فالله سبحانه وتعالى

¹-فاطمة عمراني، مرجع سابق، ص 26 .

²-عمر ابراهيم توفيق، مرجع سابق، ص 23.

في هذه الآية الكريمة يدعوننا إلى الصلاة و التسليم على نبيه الكريم، فالصلاة عليه تعني تعظيم النبي و أعلآء ذكره. و لقد تجسد هذا في شعر "ابن الجنان" في خمسة يقول:

الله رد محمد تكريماً
و حباه فضلاً من لدنه عظيماً .

واختصه من المرسلين كريماً
ذا قر به بالمؤمنين رحيماً .

صلوا عليه وسلموا تسليماً¹

فقد حرص ابن جنان على ذكر الصلاة على النبي في قصيدته ويوجد من الشعراء من كانوا يهتمون قصائدهم بأحد عناصر المدح النبوي على الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم.

2- شعر المديح النبوي في الأدب المغربي والأندلسي:

وإذا انتقلنا إلى الأدب المغربي لرصد ظاهرة المديح النبوي، فقد كان الشعراء المغاربة سابقين إلى الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ونظم الكثير من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتعداد مناقبه الفاضلة وذكر صفاته الحميدة وذكر سيرته النبوية الشريفة وذكر الأمكنة المقدسة التي وطئها نبينا المحبوب. وكان الشعراء يستفتحون القصيدة النبوية بمقدمة غزلية صوفية يتشوقون فيها إلى رؤية الشفيح وزيارة الأمكنة المقدسة ومزارات الحرم النبوي الشريف، وبعد ذلك يصف الشعراء المطية وحال المواكب الذاهبة لزيارة مقام النبي الزكي، وينتقل الشعراء بعد ذلك إلى وصف الأماكن المقدسة ومدح النبي صلى الله عليه وسلم مع عرضهم لذنوبهم الكثيرة وسيئاتهم العديدة طالبين من الحبيب الكريم الشفاعة يوم القيامة لتنتهي القصيدة النبوية بالدعاء و التصليية . ومن أهم الشعراء المغاربة الذين اشتهروا بالمديح النبوي نستحضر مالك بن المرحل كما في ميميته المشهورة التي يعارض فيها قصيدة البوصيري الميمية:

شوق كما رفعت نار على علم
تشب بين فروع الضال والسلم²

ويقول في قصيدته الهمزية مادحا النبي صلى الله عليه وسلم

¹ -المقري :نفع الطيب ،ج10 ،ص28 .

² -لسان الدين الخطيب، مرجع سابق، ص315.

إلى المصطفى اهديت غر ثنائبي

فيا طيب إهدائي وحسن هذائي

أزاهير روض تجتني لعطارة

وأسلاك در تصطفى لصفاء¹

- المدح عند ابن سهل الأندلسي .

يكنم بناء القصيدة في اختلاف من شاعر إلى آخر فمنهم من بني قصيدته على موضوع المدح وحده فيدخل فيه من غير مقدمات ومنهم من بينها على موضوعين فيستهلها مثلاً بالغزل أو وصف الطبيعة ثم يخرج بالمدح.²

يشترك أكبر شعراء الأندلس في بناء قصيدة المدح مع القدامى في تعدد موضوعاتها ويخالقونهم في نوعيتها إلى حد ما . لأن لكل زمان موضوعاته التي بها يستطيع الشاعر أن يجوز الإعجاب ويستميل ممدوحه، ومن أبرز المدائح مديح ابن سهل الأندلسي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ال عمران 68].

ونظم ابن سهل قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتي عدد فيها صفاته الحميدة وذكر سيرته النبوية وذكر الأمكنة المقدسة التي وطئها تبينا للمحسوب . واستفتح الشاعر القصيدة النبوية بمقدمة غزلية صوفية تشوق فيها لرؤيته عليه الصلاة والسلام .

المبحث الثاني: أثر مذهب ابن سهل في مدائحه للرسول صلى الله عليه وسلم

تعرفنا من قبل على شخصية ابن سهل الأندلسي التي كان له أثر في عصره ، ونقف عند هذه الشخصية مرة أخرى من خلال قصيدته المدحية، ولدراسة ما نحتاجه عنه، وما قيل عنه وما نسب إليه، ولشخصيته وطريقة تفكيره وصحة إسلامه؛ والتي في غالب الأحيان لا تفهم

¹ - المصدر نفسه، ص362.

²-علي محمد سلامة، الأدب العربي في الأندلس، تطوره موضوعاته واشهر إعلامه، الدار العربية للموسوعات، ط1 1989، ص193.

الإمن خلال أشعاره وما خلفه، ومن هنا سنتطرق بالدرس والتحليل لهذه الجزئيات من صحة إسلام الشاعر ودينه ومدى حبه لله عز وجل ولرسوله الكريم .

اختلف غرض المدح من شاعر إلى آخر فهناك من يثني على ممدوحه إعجاباً بصفاته وبخصاله الحميدة وبالشجاعة والمروءة، وهناك من يمدح لغرض شكر على معروف كحسن الضيافة والاعانة، وهناك من يلجأ إلى المدح لغرض التكسب وجني المال والعطايا ..

جاء في تعريف المعجم لمحمد مفتاح أنه "قائمة من الكلمات المنعزلة التي تتردد بنسب مختلفة لإنشاء نص معين وبعض الكلمات تتردد بنفسها أو بمرادفها أو بتكريب يؤدي معناها، وهذه الكلمات، تكون حقلاً أو حقولاً دلالية فالكلمات هي مفتاح النص، فإن وجدنا نصاً بين أيدينا ولم نستطع تحديد هويته في بادئ الأمر فإن مرشدنا إلى تلك الهوية هو المعجم بناءً على التسليم بأن لكل خطاب معجمه الخاص به [...] فالمعجم وسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب [...] هذا المعجم يكون منتقى من كلمات يرى الدارس أنها هي مفاتيح النص أو محاوره التي يدور عليها¹

مدحة نبوية:

تُنَازِعُنِي الْأَمَالَ كَهَلًا وَيَافِعًا**** وَيُسْعِدُنِي التَّعْلِيلُ لَوْ كَانَ نَافِعًا
وما اعتنق العلياً سوى مفرد غد***** لهول القلا، والشوق، والنوق رابعا
رأى عَزَمَاتِ الْحَقِّ قَدْ نَزَعَتْ بِهِ***** فَسَاعَدَ فِي اللَّهِ النَّوَى وَالنَّوَاذِعَا
وَرَكِبَ دَعْتَهُمْ نَحْوَ «يَتْرَبَ» نِيَةً***** فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا مُطِيعًا وَسَامِعَا
يُسَابِقُ وَخَدُّ الْعَيْسِ مَا اسْوَدَّ مِنْهُمْ***** فَيَفْنُونَ بِالشُّوقِ الْمَدَى وَالْمَدَامِعَا
سَقَى دَمْعُهُمْ غَرَسَ الْأَسَى فِي ثَرَى الْجَوَى***** فَأَنْبَتَ أَزْهَارَ الشُّجُونِ الْفَوَاقِعَا ١٢٦
فَذَاقُوا لَبَانَ الصِّدْقِ مَحْضًا لِعِزِّهِمْ***** وَحَرَّمَ تَفْرِيطِي عَلَيَّ الْمَرَاضِعَا

¹- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص58.

تلاقى على وادي اليقين قلوبهم *****
 خوافق يذكرون القطا والمشارعا
 قلوب عرفن الحق بالحق وانطوت *****
 عليها جنوب ما ألقن المضاجعا
 إذا ما انتنوا أو رجعوا الذكر خلتهم *****
 غصونا لدانا، أو حماما سواجعا
 نضيء من التفتوى خبايا صدورهم *****
 وقد لبسوا الليل البهيم مدارعا
 مناجاة النبي محمد *****
 تم بها مسكا على الشم ذائعا
 تخالهم النبت الهشي تكاد م تعيرا *****
 وقد فتقوا رؤضا من الذكر يانعا
 خذوا القلب يا ركب الحجاز فإني *****
 أرى الجسم في أسر العلائق قابعا
 ولا ترجعوه إن قفلتم فإنما *****
 أمانتكم ألا تردوا الودائعا
 مع الجمرات ازموه يا قوم إنه *****
 حصة تلقت من يد الشوق صارعا
 تخلص أقوام، وأسلمني الهوى *****
 إلى علق سدت علي المطامعا
 هموا دخلوا باب القبول بقرعهم *****
 وحسي أن أبقي لسبي قارعا!
 أينفك عزمي عن قيود ثقيلة؟ *****
 أيمحو الهوى عن طينة القلب طابعا؟
 وتسعف «ليت» في قضاء لبائتي *****
 ويترك «سوف» فعل عزمي المضارعا؟
 إذا شرقت الأرشاد خابت بصيرتي *****
 كما بعثت شمس السراب المخادعا!
 فلا الزجر ينهاني، وإن كان مرهبا، *****
 ولا النصح يثني، وإن كان ناصعا
 فيا من بناء الحرف خامر طبعه! *****
 فصار لتأثير العوامل مانعا
 بلغت نصاب الأربعين فركها *****
 بفعل ترى فيه مئيبا وربعا
 وبادر بوادي السم إن كنت راقيا *****
 وعاجل رقع الفتق إن كنت راقعا
 فما اشتبهت طرقت النجاة، وإنما *****
 ركبت إليها من يقينك طالعا
 إنمده النبي خير ووفاء وانقضاء كربة وهي رجاء وفيها استجارة بالرسول
 واحتماء بحماه فهو الشفيع يوم الرجاء، كان الإمام علي رضي الله عنه
 أنشد أمام رسول الله وأقول النبي صلى الله عليه وسلم فأسمع¹.

¹ - الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الديوان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص57.

- إن ما نلمسه في افتتاح هاته القصيدة تلك النبرة المتحدية المتمسكة ببصيص من الأمل، الذي قد نرجعه لنية الشاعر في طرق باب مناجاة النبي الأكرم مادحا لفظه ومكانته راجيا شفاعته.

تُنَازِعُنِي الْأَمَالَ كَهَلًا وَيَافِعًا***** وَيُسْعِدُنِي التَّعْلِيلُ لَوْ كَانَ نَافِعًا

وما اعتنق العلياً سوى مفرد غد***** هَوْلِ الْفَلَا، والشوق، والنوق رابعاً¹

والشاعر استفتح هذين البيتين أمله بمحمد صلى الله عليه وسلم ليرصد في العجز قائلاً:

يسعدني التعليل لو كان نافعاً .

وهنا كأنه يريد القول بأنه مستعد لشرح صدر البيت لمن التبس عليه .

وقوله أيضاً :

رَأَى عَزَمَاتِ الْحَقِّ قَدْ نَزَعَتْ بِهِ***** فَسَاعَدَ فِي اللَّهِ النَّوَى وَالنَّوَاذِعَا.

وَرَكِبَ دَعْتَهُمْ نَحْوَ «يَثْرَبَ» نِيَةً***** فَمَا وَجَدْتُ إِلَّا مُطِيعًا وَسَامِعًا.²

فوجد الشاعر يقف مبجلاً لهمة النبي صلى الله عليه وسلم والتماسه لرحلة الحق من مكة إلى المدينة . في سبيل إعلاء كلمة الحق والدين الحنيف ، ومجاهته لبني عمومته من قريش والظروف الوعرة في رحلته مع أبي بكر .

ومن خلال لفظة يثرب فاليهود يطلقون عليها يثرب والمسلمون المدينة

ونجده يستحضر ألفاظها دلالات الصحراء وما تحمله من كد ومصاعب كقوله: (القفار)

...التوق (جمع تاقه) .

¹-ديوان ابن السهل الأندلسي، مرجع سابق، ص53.

²-ديوان ابن السهل الأندلسي، مرجع سابق، ص:53

والشوق فاستعملها لاشك للتدليل على شوقه صلى الله عليه وسلم للمدينة وأنصاره فيها ولرؤيتها تحمل دينا جديدا عنوانه الإسلام والسلام .

وهذا ما يدعمه البيت الثالث حين قال :

رأى عزمات الحق والمتفق عليه أن أحلام النبي كانت عبارة عن وحي من الله لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف 157].¹

وساعد في الله النوى والنوازع بمعنى كان مسيرا محميا من العزيز الجبار كيف لا وقد سخر له الحمامة وغار حراء وأنجاه من قوافل قريش العازمة على قتله .

وفي البيت الرابع قوله : ركب دعتهم والركب هو ما يركبه الإنسان لبلوغ مسعاه وهي الناقة ونجد هنا تصويرا بلاغيا حيث شبه الناقة أو الركب بالإنسان فحذف المشبه به وترك اللازمة دعوة على سبيل الاستعارة .

ونجد كلمة يثرب وهي اسم المدينة المنورة فالشاعر هنا قد يمتدح الرسول ويصف رحلة الهجرة السرية من مكة إلى المدينة .

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة»²

¹-[الأعراف 157].

²- كتاب التحفة الزكية في فضائل المدينة النبوية ،دكتور عبد الرحمان عبد الحميد ،دار اليقين للنشر وتوزيع ،(ط1)،

وفي قوله: فما وجدت إلا سمعا ومطيعا فهنا كناية عن وصف الترحاب، الذي تزينت به قلوب أهل يثرب وأنصار النبي صلى الله عليه وسلم بقدمه ليكون بينهم . ووصف لهالة الفرح الذي عم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رحلة قاسية في ظروفها .

هينة بفضل الله وحفظه لنبيه ومرافقة أبي بكر الصديق رضي الله عنه له .

- يُسَابِقُ وَخُدَّ الْعَيْسِ مَا اسْوَدَّ مِنْهُمْ***** فيفنون بالشوق المدي والمدامعا

- سَقَى دَمْعُهُمْ غَرَسَ الْأَسَى فِي ثَرَى الْجَوَى***** فأنبت أزهار الشجون الفواقعا¹

ويكمل في هذين البيتين وصف راحلة النبي صلى الله عليه وسلم حين يتحدث عن العيس المتسارعة الخطوات، التي ما شاب عيونها أي اسوداد وهذا ما يعرف عن النوق حيث تتعب .

فتظهر هالات سود تحت عيونها وهذا الذي يصوره الشاعر وكأنه يقول أنها رحلة تحرسها ملائكة السماء كان الله فيها صاحبا وهنا نلمس، التماس الشاعر للمجاز في نوع الكناية للقول بصفة التعب .

فترى النوق تقلب المسافات الواسعة من القفار، وكأنها تعلم أن الكثير من الفرح والتهليل في انتظارها في مدينة الأنصار .

ليجمع بين ما تفرزه عيونها من شدة الحر في الصحراء جامعا بين حقيقة علمية وأخرى التي اراها مجازا في جعل النوق تبكي اشتياقا لما ستره من وفود استقبال النبي صلى الله عليه وسلم.

ويطلق لنفسه عنان السبك البديع في قوله دمع يسقي عرس الأسى المدفون في النفوس المعطشة للحق التي افقرت من هول والظلم ما قبل بعثته صلى الله عليه وسلم

لينقل صورة مقابلة تحمل معاني الازدهار والعدل مستنقب الإطار الزماني للرحلة مستشرقا بداية عهد جديد يكون فيه للورد والانسان والحق النصيب الأوفر .

- فذاقوا لبان الصديق محضاً لعزهم***** وحرّم تفريطي عليّ المراضعا

¹-ديوان ابن السهل الأندلسي، مرجع سابق، ص:53

-تلاقى على وادي اليقين قلوبهم*****خوافق يذكُرْنَ القَطَا والمشارِعَا¹

حسب الذي سبق هنا تحول من خطاب الجمع إلى المفرد حيث كان يصف ركب الحجاج والشوق لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فداقوا اللبان يقصد به اللبن فهم ذائقوه وهو حرم منه لأنه رأى نفسه مفرطاً ومقصراً حين قال تفريطي، وهنا الشاعر يصف الزائرين للحبيب المصطفى وشوقه ليثرب. فتحدث فيها الشاعر عن شوقه وتلفهه إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الأماكن التي شهدت يوماً ما إشراقه الرسالة المحمدية، وعاشت لحظات الدعوة في محنتها وانتصارها، في شدتها ورخائها، مكثراً من ترديد أسماء الأماكن الحجازية (طيبة) التي تعني المدينة المنورة ومواقع أخرى كمني ويثرب وزمزم والبيت العتيق ونجد والخف والحطام واللوى والغور، إلى ما هناك من أسماء موحية تكتنز شحنة تاريخية كبيرة، تعطي القصيدة بعداً زمنياً وتثير حولها جوا روحانياً وعبقياً دينياً يزيدان من تأثيرها وقوتها²

وكيف أن قلوبهم خوافق ويذكر القطا وهو طائرٌ أصبح رمزاً للشوق محبوباً لكثرة تداوله في الشعر العربي فهو طير مهاجر.

يقول قيس بن ملوح :

اسرب القطا هل من معير جناحه ...لعلي إلى من قد هويت أطيرو³.

قلوبٌ عرْفَنَ الحقَّ بالحقِّ وانطَوَّتْ*****عليها جُنُوبٌ ما أَلْفَنَ المضاجِعَا

إذا ما انشَنُوا أو رجَّعوا الدِّكْرَ خِلْتَهُم*****غُصُونًا لِدَانًا، أو حَمَامًا سَوَاجِعَا⁴

1-ديوان ابن السهل الأندلسي، مرجع سابق، ص:54

2- محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، دط، دس، ص. 27.

3-ديوان قيس بن الملوح، مجنون ليلي، دار الكتب العلمية، (ط1)، 1460 هـ-1999م، بيروت-لبنان، ص:97

4-المرجع نفسه، ص:54،53

قلوب عرفت الحق بالحق وانطوت

هنا يقول: إن القلوب يعرفوا الحق قلوب كانت بأمل من الله وخاصة أهل المحبة عرفوا الله بعطائه المنعم ولم يتعودوا على المضاجع أي النوم وحين يتكئ الإنسان على جنبه الأيمن أو الأيسر ينطوي القلب حرموا النوم من أجل شوق المحبوب فليلهم دعاء وقيام ومناجاة للمعشوق المصطفى ويقول أيضا إذا أعادوا أو تذكروا أي اتخذوا الذكر سبيلا للرجوع إلى الله فيعودون كالغصن الطري أو الحمام طينتهم مثل الغصن اللين الذي يميل أو كالحمام الذي يردد بصوته انغاما عذبة .

نُضِيءُ مِنَ التَّقْوَى خبايا صدورهم*****وقد لبسوا الليلَ البهيمَ مدارعا

تضيء من أنوار الذكر وقيامهم الليل فهم كما قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الدَّارِيَاتِ 17]. أي يكثرن الاستغفار .

يقدم الشاعر صورة فنية عن ركب الحجاز الذي يقومون بزيارة البقاع المقدسة ويرسم صورة حسية عن مشاعر معنوية لهؤلاء الحجيج الذين تنبعث منهم عطور التقوى يقول: تضيء من التقوى خبايا قلوبهم. استعارة مكنية حذف مصدر الضوء وعوضه بإحدى لوازمه، وهو الضوء الذي ينبعث من تقوى قلوب الركب وقد لبسوا الليل الطويل مدرعا مجاز وتدل على أن هؤلاء الحجيج يسافرون ليلا واتخذوه لباسا .

ولننظر إلى مدى الشوق إلى المقدسات والذي شعر به المغاربة والأندلسيون حيث دخل الشاعر ابن سهل في نفوس المؤمنين وخرج بخفائيه، فأظهر لهفتهم لرؤية المقدسات، ومدى تعلقهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما تحدث عن نفسه وعمما يجول فيها ويعممه على المؤمنين الذي شدوا الرحال إلى الديار المقدسة فيقول:

تكاد مناجاةُ النبي محمدٍ*****تنمُّ بها مسكًا على الشَّمِّ ذائعا¹

¹ -ديوان ابن سهل الأندلسي، مرجع سابق، ص 54.

ولشدة مناجاتهم وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم صاروا روضاً ذائعا، يتقربون من الله برسولنا الأعظم وطلب الشفاعة منه . وفي صدر البيت تشبيهه بليغ .

إذ أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يشفع في أمته وتسمى "المقام المحمود" لأنه يحمده عليها الأولون والآخرون وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم إذ تقبل شفاعته وهي دخول جماعة للجنة بغير حساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لكل نبي دعوة مستجابة يدعي بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعاة لأمتي في الآخرة"¹

تخالهمُ النبتَ الهشي تكاد م تغيراً***** وقد فتقوا رَوْضًا من الذِّكرِ يانعا²

وفي هذا البيت وطأ التقوى على هؤلاء فكأنهم كانوا كنبات هشيم أي ذابل تخالهم النبت الهشيم ، وفي عجز البيت استعارة مكنية وقد فتقوا روضاً من الذكر يانعا.

-خذوا القلبَ يا ركبَ الحجازِ فإنني*****أرى الجسمَ في أسْرِ العلائقِ قابعا

الشاعر في هذا البيت يأمر المتوجهين إلى الحجاز ويقصد الحجاج بأخذ قلبه معهم وهذا لشوقه وحبه لبيت الله الحرام والشاعر في هذا البيت يأمر المتوجهين إلى الحجاز ويقصد الحجاج ويصف حالته في عجز البيت أنه يرى الجسم في أسر العلائق وكأن جسمه مسجون لا يستطيع الذهاب معهم.

-ولا تُرْجِعوه إن قَفَلْتُمْ فإنما*****أمانتكم ألا تَرُدُّوا الوُدائعِ.³

يستهل هنا الشاعر هذا البيت بالنفي وعدم إرجاع قلبه حتى وإن قفلتم ويوصيهم كأمانة بعدم إرجاعه معهم وشبهه بالودائع

- مع الجَمَراتِ اِرْمُوهُ يا قومِ إنه*****حصاةٌ تَلَقَّتْ من يدِ الشوقِ صارِعاً⁴

¹ - صحيح البخاري، رقم .2304.

² -ديوان ابن السهل الأندلسي، مرجع نفسه، ص:54.

³ -ديوان ابن السهل الأندلسي، مرجع سابق، ص:54.

⁴ - مرجع نفسه ،صفحة نفسها.

يأمر الشاعر الذاهبين برمي قلبه مع الجمرات عند أداء مناسك الحج ويشبه قلبه بالحصاة يعني مثله مثل الجمرات وأنه عند رميه يخرج الصدى لقوة قساوته ولشدة شوقه .

يقول لهم هنا حطو رجائي بحافة بئر زمزم الصفا وتركه يرتوي من ماء زمزم لأنه في حالة اشتياق وتعطش للذهاب لمكة والشراب من ماء زمزم

-تَخْلَصَ أَقْوَامٌ، وَأَسْلَمَنِي الْهُوَى ***** إِلَى عِلْقٍ سَدَّتْ عَلَيَّ الْمَطَامِعَا

-هموا دخلوا بابَ القبول بقرعهم ***** وحسبي أن أبقي لسبي قارعا!¹

يتكلم عليهم أنهم دخلوا وأخذ القبول بدهابهم وكذلك هو سيبقى ينتظر حتى يذهب مثلهم يستهل البيت بالقسم باسم الجلالة "الله" عز وجل بأنه ليس لديه وسيلة لدخول مثلهم لكنه متأملا بالله عز وجل ويعرف أن الباب واسع وأنه سيأتي يوم ويذهب هو أيضا

أَيْفَكُ عَزْمِي عَنْ قُبُودٍ ثَقِيلَةٍ؟ ***** أَيْمَحُو الْهُوَى عَنْ طِينَةِ الْقَلْبِ طَابِعَا؟²

يطرح الشاعر سؤالاً عن حالته هل يوجد يوم وينفصل عزمه عن قيوده الثقيلة على أمل أن تفرج عليه ويذهب وكذلك يواصل استفهامه في عجز البيت هل يمحو الهوى عن طينة القلب طابعا؟ يشبه هنا قلبه بقطعة الطين التي يوجد فيها خاتم او طابع وهل سيأتي يوم ويزول هذا الطابع.

قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء 107].

-وتُسَعِفُ «ليت» في قضاء لباتي ***** ويتزك «سوف» فعل عزمي مضارعا؟³

¹- نفسه، ص ص 54, 55.

²- نفسه، ص 55.

³-ديوان ابن السهل الأندلسي، مرجع سابق، ص 55.

هنا يستعين الشاعر بكلمة "ليت" للتمني في قضاء مراده وأنه يأتي يوم ويتحقق مناه وهذا لكثرة اشتياقه وعزمه لزيارة بيت الله الحرام وفي العجز يواصل التمني بترك سوف التي تدل على المستقبل فعل عزمه المضارع سيتحقق مراده .

والتقى فن التشوق إلى المقدسات بالمديح النبوي أحياناً عند ذكره للرسول صلى الله عليه وسلم وأحياناً كونه مقدمة لقصائد المديح النبوي، فهذا الفن له علاقة بالمديح النبوي.

"لكنه لا يدعي مدحاً نبويًا خالصاً فافترق عنه، لكن يمكننا أن نعتبره قسماً من أقسام قصائد التشوق¹

- فلا الزجرُ ينهاني، وإن كان مُرهبًا، ***** ولا النصْحُ يثنييني، وإن كان ناصعًا.²

و يتكلم في هذا البيت عن نفسه بأنه لا الزجر ينهاه يعني لا يوجد شيء يمنعه حتى وإن كان مرهبا يعني مخيفا وكذلك النصح لا يثنيه حتى وإن كان ناصعا يعني خالص ونقي وواضح.

- فيا مَنْ بناءُ الحرفِ خامرَ طبعه! ***** فصارَ لتأثيرِ العواملِ مانعًا³

يواصل التكلم عن نفسه أنه بنى بناء أي بيت حرف خامر طبعه أي تغيرت طباعه حتى صار لتأثير العوامل مانع يمنع تأثيره على العوامل .

- بلغتِ نصابَ الأربعينِ فزكَّها ***** بفعلٍ ثرى فيه مُنبياً ورابعًا⁴

كذلك يواصل في كلامه قائلاً بلغت النصاب أي وصلت الأربعين فزكها هنا يقدم نصيحة إذا وصل الإنسان سن الأربعين يزكي نفسه بالأفعال الحسنة الذي تنفعه في الدنيا والآخرة .

- وبادِرْ بوادي السِّمِّ إن كنتَ راقياً ***** وعاجِلْ رُفوعَ الفتنِ إن كنتَ راقعًا⁵

1- فاطمة عمراني، مرجع سابق، ص 134.

2- ديوان ابن السهل الأندلسي، مرجع سابق، ص:55.

3-المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

4-ديوان ابن السهل الأندلسي، مرجع سابق، ص 55.

5-المرجع نفسه،ص55.

. يواصل النصح أن يتخلى عن الأفعال السيئة إن كان راقيا ويسرع ويعجل بتحسين أفعاله وأخلاقه ويصحح أخطائه .

-فما اشتبهتُ طُرُقُ النجاة، وإنما*****ركبتَ إليها من يقينك طالِعاً¹

وفي البيت الأخير يجتم بقوله عدم اشتباه طرق النجاة فهي تختلف وشبه النجاة بالإبل عند الركوب عليها يكون على يقين طامعا.

أثر المذهب الديني في عينية ابن سهل الأندلسي :

إن ابن سهل الأندلسي لو قضى عمرا أطولا لكان أكبر شاعر في عصره .

ذلك هو الشاعر إبراهيم بن سهل الإشبيلي، الذي يحتل منزله خاصة في التراث العربي، إنه شاعر كان بأصول يهودية وأسلم وحسن إسلامه، وكما ظهر لنا من خلال قصيدة مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدته البديعة التي كانت فيها كلمات مؤثرة ظهرت فيها محبته للرسول صلى الله عليه وسلم وزيارة أماكنه المقدسة .

تحتوي القصيدة على عدة كلمات مقتبسة من القرآن الكريم ولها دلالات إسلامية فكل بيت نجده يحمل معنى ديني كوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لمكان له علاقة بالمسلمين ومن الكلمات الدينية الموجودة في القصيدة نجد:

1. النوى : مذكرة هاته الكلمة في القرآن الكريم تحديدا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى...﴾ [الأنعام 95].

2. يثرب : لقوله تعالى "﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب 13].

¹ - نفسه، ص55.

3. مطيعا سميعا: قال تعالى " ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة 285].

4. المضاجع : قال تعالى " ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِغَيْبِ بِيَمَانٍ حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ [النساء 34].

5. التقوى: قال تعال " ﴿ الْحُجُجُ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة 197]. ف.

6. لبسوا الليل : قال تعالى " ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان 47]. "

7. منجاة النبي: قال تعالى " ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المجادلة 12].

8. مسكا: قال تعالى " ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين 26].

9. الهشيم: قال تعالى " ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ [الكهف 45].

10. طينة القلب طابعا: لقوله تعالى " ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة 74].

11. خابت : قال تعالى " ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ [طه 61].

12. السراب : قال تعالى " ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور 39].
13. الزجر: قال تعالى " ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ [الصافات 19].
14. فزكها: قال تعالى " ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [الأعلى 14].

*- هناك الكثير من الكلمات الدينية التي يظهر فيها أن الشاعر يمتلك ثقافة إسلامية مثل : كلمة الجمرات وهي من أفعال مناسك الحج ، كذلك كلمة بلغت النصاب هذه كلمة تخص الزكاة عند المسلمين

من خلال استخراج العديد من الكلمات والعبارات التي وجدت في القرآن الكريم فهنا يظهر تأثير المذهب الديني في شعر ابن سهل الأندلسي وبأنه اعتمد على القرآن كمرجع واستعان به لكتابة أبيات قصيدته فهو شاعر من بين الشعراء الذين اختاروا الرسول صلى الله عليه وسلم وقاموا بمدحه.

فالشاعر يتمتع بالثقافة الإسلامية المطلعة على القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وتعاليم الإسلام.

وبناء القصيدة، وبنيتها و كل ما تحويه القصيدة من ألفاظ وتراكيب وصور قائمة على التشايب والاستعارات، والوزن والقافية، وباجتماعها يتكون بناء القصيدة، وقد أشارت المصادر القديمة إلى ذلك، كقول صاحب عيار الشعر: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة، محض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي سلس له القول عليه"¹

وانطلاقاً من هذا الجانب يمكن دراسة بنية القصيدة الأندلسية من خلال تأثرها ببناء القصيدة العربية القديمة من خلال دراسة الألفاظ والتراكيب والصور التي شاعت عند الأوائل

¹ - ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط1، 1982، ص11

والتي وردت عند شعراء الأندلس بصورة تؤكد تفاعل الأندلسيين مع التراث الشعري واستلهامه، والنسج على منواله إلى حد جعلهم يضمنون أشعار وتراكيب الأوائل في أشعارهم، حتى أصبح ذلك ظاهرة فنية شائعة عندهم، كإحدى الأساليب والظواهر الفنية لديهم. وقد سمي الأسلوب الجيد البناء "بالنسق" عند النقاد وهو "أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً مستهجنأً، وتكون جملها ومفرداتها متسعة متواليهً، إذا أُفرد منها البيت قام بنفسه، واستقلَّ معناه بلفظة¹.

والمقصود هنا أن اتساق المعنى من أجل التفسير وتحليل ولا يتاثرون الشعراء في بناء صورهم بسابقيهم الأوائل من شعراء المشرق؛ بل يعد ذلك جزءاً من تفاعل الشاعر مع الماضي والمحافظة عليه ومحاكاته في معانيه، ومضامينه، وبنائه الفني ولهذا كان الشاعر ابن سهل الأندلسي متأثراً بقصيدته المدحية .

يعتبر شعر المديح باباً شعرياً واسعاً في اللغة العربية و الأدب العربي، على اختلاف موقعه من الشاعر (حبيب حاكم، أم... إلخ) و مدح الأرض و الوطن، و على اعتبار أن المدح الحبوب يعتبر تحت باب شعر الغزل، نستطيع بهذا أن نحدد فترة ازدهار شعر المديح مراحل تطوره.

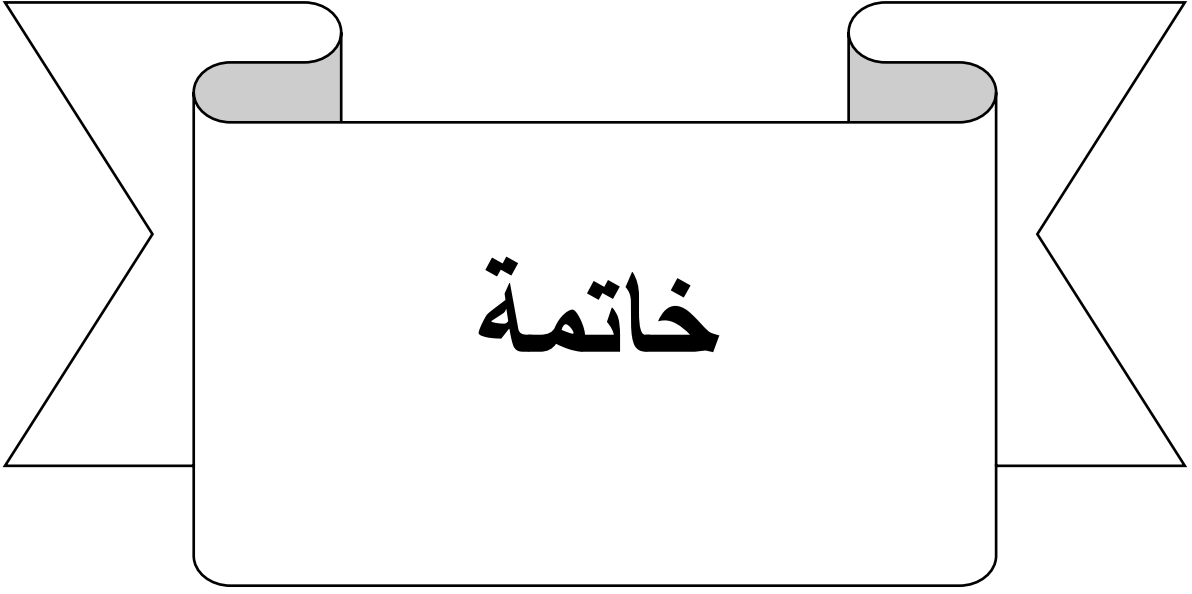
كان العرب القدماء يمدحون قبائلهم ويتغنون بأمجادها ويمدحون حروبهم وآرائهم بها وشجاعتهم وبعد ظهور الإسلام وتقليل النزاعات القبلية ، وهنا ظهر الافتخار بالإسلام وبدء الشعراء يهجون أزمئتهم الجاهلية ويمدحون ما صاروا به من الإسلام، فظهرت أسماء شعراء في زمن الرسول -ص كحسان بن ثابت الذي لقب بشاعر رسول الله الذي كان لا يتوانى عن مدحه للإسلام في شعره وغيره كثيرون، أما بعد ذلك وفي زمن الخلفاء ظهر بعد استقرار الدولة الإسلامية شعراء في بلاد السلاطين والخلفاء يمدحون الحكام فيمنحون العطايا على هذا المدح ولربما من أشهر شعراء المدح، أبو الطيب المتنبي فهو كان مادحاً بطريقة يؤخذ عليها إنما وصلت حد المبالغة بالمدح وغيره كالأو يتحدون بعضهم في الشعر و المدح كلون شعري كانوا نوعاً ما يقتاتون عنه، وتراجع هذه الدولة وقيام مذاهب و فرق إسلامية كثيرة تحول الشعر ليخدم فكر

¹ -إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص25-26

الفرق في مدحها وأفاض كل شاعر مع فرقته في مدحه لها وبعد ذلك في أزمنة تفهقر الدولة ظهر نوع جديد من المدح ألا وهو التفني بأعجاد سابقة ومن هنا عادت القبلية من جديد وعاد معها طور الشعر المتفاخر بأعجاد شخصية وقبلية وهو حتى الآن قائم بقوة في المجال الشعري بأنواعه وانتقل الى الشعراء المعاصرين وشعراء الشارع أو الشعر النبطي أو العامي.

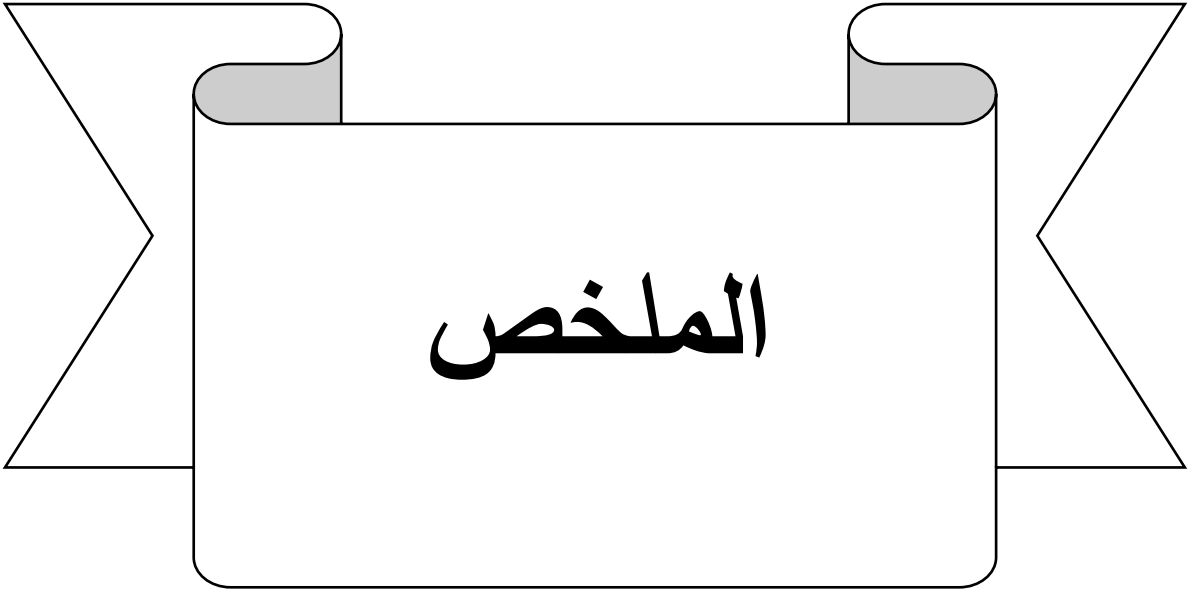
و بالتالي ارتبط شعر المدح في العصر العباسي بالتكسب، فكان الشعراء يغالون في المدح و كان الأمراء و الخلفاء يصدقون عليهم الأموال و يقربونهم و ينادونهم.



خاتمة :

مع وصولنا إلى نهاية هذه الدراسة، بعد رحلة بحثية وتطبيقية توصلنا إلى استخلاص مجموعة من النتائج، والتي يمكن إيرادها كالتالي :

1. التعرف على حياة " ابن سهل الاشبيلي " وبيئته التي عاش فيها وأثر هذه الخبرة على حياته وصقل مواهبه ومرجعياته الدينية، الفكرية والثقافية.
 2. القدرة الشعرية لدى " ابن سهل الاشبيلي " من خلال تفننه الشعري ونظمه للعديد من الأغراض واستخدام المح والرتاء والوصف والهجاء.
 3. صدق عاطفة الشاعر وليونته ورقته وكثرة التكرار للمعنى الواحد.
 4. اقتباس الساعر من القرآن الكريم وتشبعه من الحديث النبوي الشريف رغم أصله اليهودي الذي لم يكن عائقا أمام اعتناقه للإسلام كما ذكر بعض من عاصروا الرجل وأجزموا بإسلامه.
 5. لمحة عن عصر الشاعر الأندلسي ومن البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية.
 6. مفهوم المدح لغة واصطلاحا بأنه غرض من الأغراض الشعرية الأساسية الذي عرفته القصيدة العربية منذ العصر الجاهلي وكذلك إلى تعريف المدح النبوي بأنه شعر ينظمه الشعراء لمدح رسول صلى الله عليه وسلم.
 7. تقديم لمحة تاريخية عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
- وفي الأخير تحليل القصيدة التي تمثل جانب تطبيقي لبحثنا حيث اخترناها كنموذج من ديوان ابن سهل وإبراز المذهب الديني للشاعر.
- " إني رأيت أنه لا يكتب الإنسان كتابا في يومه إلا قال في غداه لو غير هذا لكان أحسن ولو زاد لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل هذا من أعظم العبر وهو دليل على استلاء النقص على جملة البشر "



ملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل قصيدة مدح ابن سهل للنبي صلى الله عليه وسلم كنموذج من ديوان ابن سهل الاندلسي وكذلك معرفة مذهبه و كيف كان تأثير ذلك في شعره عامة وفي قصيدته المدروسة خاصة والحديث على ابن سهل وديانته وعن صحة إسلامه المشكك فيها وقسم العمل الى قسمين جزء نظري عبارة عن مفاهيم للمصطلحات الأساسية وكذلك حياة الشاعر وجانب ثاني تطبيقي عاج القصيدة والأثر الديني فيها.

The aim of this study is to analyze Ibn Sahel's praise poem for the Prophet, may God bless him and grant him peace, as a model from Ibn Sahl al-Andalusia's Divan, as well as to know his doctrine and how this affected his poetry in general and in his studied poem in particular, and the talk about Ibn Sahel and his religion and the validity of his questionable Islam. The work is divided into two parts. The first part is theoretical ,it is concepts of basic terms as well as the life of the poet and a second applied aspect that treated the poem and the religious impact in it.



قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

ديوان ابن السهل الأندلسي

المراجع:

- إبراهيم شمس الدين ، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار الصبح بيروت ، لبنان، ط1
،1428هـ/2008م.
- ابن السهل الأندلسي الديوان يسرى عبد الغني عبد الله ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط3
2003م،ص5.
- ابن السهل الأندلسي الديوان يسرى عبد الغني عبد الله ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط3
2003م،ص5.
- ابن رشيق القيرواني :العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ،ج1.
- ابن رشيق القيرواني :العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده ،ج1.
- ابن زيدون، الديوان ورسائله: تحقيق علي عبد العظيم (دط) مكتبة النهضة، مصر، 1957.
- ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ،لسان العرب ،اعداد وتصنيف يوسف ،خياط
،ج2، دار لسان العرب ،بيروت م ،دج .
- ابن هاني الأندلسي: الديوان: تحقيق كرم البستاني (دط)، مكتبة صادر، بيروت، 1952.
- أبو الحسن حازم القرطاجي :منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تح ،محمد الحسن بن خوجة ،دار الغرب
الاسلامي ،ط2، 1981.
- أبو خير الإشبيلي ،تح ،محمد فؤاد ،دار الكتب العلمية ،بيروت(1419 هـ -1998م).
- إحسان عباس- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين دار الثقافة، بيروت ،لبنان
(د.ت).
- احمد بن محمد المقرئ التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق الدكتور
إحسان عباس ،دار صادر ،1968ج2.
- الأدب الجاهلي قضاياها وأغراضه وأعلامه ،غازي طليمات وعرفان الأشقر ،دار الفكر ،ط2
،2007م.

- الأسدي الجباني (أبو الأصغ عيسى بن سهل بن عيد الله) الأحكام الكبرى أو الاعلام بنوازل الأحكام، القاهرة 1428 هـ، 2007.
- الأعمشى: ميمون بن قيس، الديوان، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية بيروت 1993، 2.
- أيمن محمد زكي العشماوي: قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني .
- بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، دار مارون عبود، ط1 1986
- بن بسام الشن تريني الذخيرة، من محاسن أهل الجزيرة تح: إحسان عباس، الدر العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (دط)، 1978، ج 1 .
- بن منظور جمال الدين أبوا الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، اعداد وتصنيف يوسف، خياط، ج، 2، دار لسان العرب، بيروت م، دج .
- توفيق عمر إبراهيم، صورة المجتمع الأندلسي في القرن 1 للهجرة، دار غنبن، عمان - الاردن ، 2009 .
- خليل إبراهيم السامري وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، ط 1 .
- زكي مبارك، المذائح النبوية، في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 1935
- سعيد أحمد غراب- أطراف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأدب الأندلسي - دار العلم والإيمان والتوزيع. ط1، 10، 2010.
- شوقي ضيف: تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط6، 1960 .
- صبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2 1989 .
- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ط1 (دم معهد الألماني 1997م).
- عباس الجراري الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1982، م .
- عبد الرحمان عبد الحميد على الأدب في العصر الاسلامي والأموي، دار الكتاب الحديث القاهرة .
- عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس - دار النهضة العربية - بيروت - لبنان (دط) (د.ت)، .
- عمر بن حسن بن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب: تحقيق إبراهيم لأبياري وحامد عبد المجيد، دار العلم للجميع، بيروت

- عمر توفيق الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس موضوعاته وفنونه، دار عيدا، ط2012، 1م، 1433هـ .
- عيسى خليل محسن- أمراء الشعر الأندلسي، دار جرير، عمان - الأردن، (دط) 2007
- فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007، ط1.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت، 5.
- كتاب الأربعين حديثا (صدر الدين) تح /محمد محفوظ. م/دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط/2سنة 1983 ..
- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، ط28، (بيروت، دار المشرق، 1986 م).
- محمد رضوان الداية - في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، دمشق، (دط)، 200 .
- محمد شهاب العاني - الشعر السياسي الأندلسي في عصر ملوك الطوائف ، دار دجلة- عمان، 2010 .
- محمد صبحي ابو الحسن، صورة المرأة في الأدب الأندلسي عصر الطوائف والموحدين ، علم المكتبة الحديث ، الاردن ، 8، 2005 .
- محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، بيروت، دار الجبل، (1412هـ- 1942م) .
- محمد مجيد السعيد - الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس - دار الراية عمان الأردن ، ط3 2008.
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992 .
- مصطفى السيوفي، تاريخ أدب الأندلس - الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة- مصر ، ط1 2008،
- المقري التلمساني - نفح الطيب ، تح: إحسان عباس - دار صادر بيروت- لبنان - (دط) 1968 ج1
- وقطر سير الأحكام، تح، يحيي مراد، دار الحديث أبو الحسن حازم القرطاجي :منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح، محمد الحسن بن خوجة، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1981.

- وهب رومية قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981.
- ينظر: أشرف نجا: قصيدة المديح في الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية، ط1 دار الوفاء، الاسكندرية، ، 2003.
- ينظر: الإحاطة، في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1975، ج3.
- ينظر: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها، عباس الجراري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1982.
- ينظر: المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1935.
- ينظر: الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، محمد بن تاويت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1982، ج1.
- ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار نظير عبود، (دط)،(د.ت).
- يوسف النهاني: المجموعة النهائية في المدائح النبوية دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1417 هـ، 1996 م، ج 1.

المعاجم:

- ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، مصر، دار المعارف، (1392 هـ/1972م).
- تحفة المحتاج لابن حجر(أ/39)
- عمر عيون البصائر للحموي (أ/30)
- القاموس المحيط الفيروز أيادي (أذهب) المصباح المنير للحموي (أ.ذهب) لسان العرب، لابن منظور (أ.ذهب).
- المعجم الوسيط (أ.317)
- ينظر بتصرف. محمد الخضري، مذهب الأغاني، مطبعة المعارف، القاهرة، مصر، ج1، دط، د.ت.

المذكرات:

- ابن عبد الرحمان سهام، شعر ابن عمار الأندلسي دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير مخطوطة، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، 2008-2009 .
- خض اروي زينب، جماليات قصيدة المديح في شعر الأعمى التطيلي، رسالة ماجستير، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، 2008، 2009
- شاكر لقمان، شعر الملوك في الأندلس، القرن 1هـ، رسالة ماجستير، محمد زيغنه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007، 2008 .

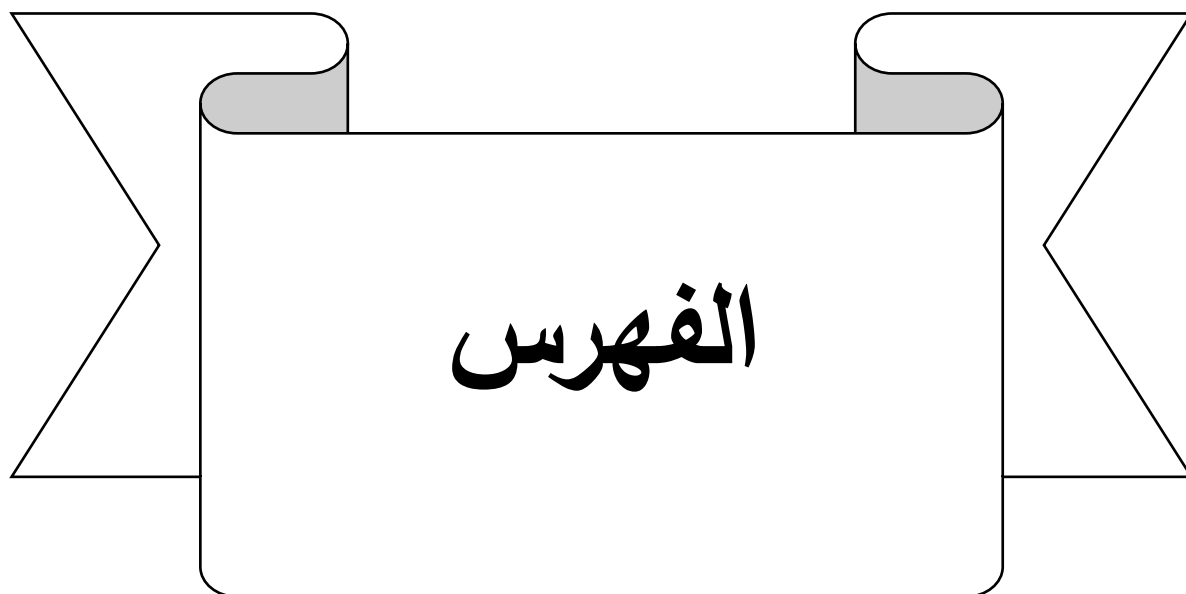


Table des matières

- 6 -	مقدمة
- 4 -	مدخل :
- 4 -	عصر الشاعر ابن سهل
- 9 -	• المبحث الأول : ترجمة ابن سهل الاشبيلي
- 9 -	• المبحث الثاني : أخلاقه ومذهبه والديني .
- 9 -	الفصل الأول :
- 9 -	ابن سهل ومذهبه العقدي والديني
- 17 -	-ترجمة الشاعر ابن سهلا لأندلسي :
- 25 -	المطلب 1: مذهب ابن سهل العقائدي والديني
- 31 -	• المبحث الأول :فن المدائح النبوية النشأة والتطور .
- 31 -	• -المديح في الأدب المغربي .
- 31 -	• المبحث الثاني : عينة ابن سهل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . وإخلاصه لدينه .
- 31 -	الفصل الثاني :
- 31 -	فن المديح النبوي عند ابن سهل وأثر ديانته فيه.
- 31 -	فيها
- 32 -	• المبحث الأول : فن المدائح النبوية النشأة والتطور .
- 32 -	أولا : مفهوم المدح
- 35 -	-تعريف المديح النبوي :
- 42 -	ثانيا : مراحل تطور المدح
- 42 -	1-شعر المديح في العصر الجاهلي :
-44-	في عصر صدر الإسلام :
-45_	في العصر الأموي :
46_	في العصر العباسي :
-46-	بعد العصر العباسي :
- 50 -	مضامين المدائح النبوية:
- 53 -	2-شعر المديح النبوي في الأدب المغربي والأندلسي:
- 54 -	- المدح عند ابن سهل الاندلسي
- 54 -	المبحث الثاني: أثر مذهب ابن سهل في مدائحه للرسول صلى الله عليه وسلم:

- 65 -	أثر المذهب الديني في عينية ابن سهل الأندلسي :
- 70 -	خاتمة
- 72 -	الملخص
- 74 -	قائمة المصادر والمراجع
- 80 -	الفهرس